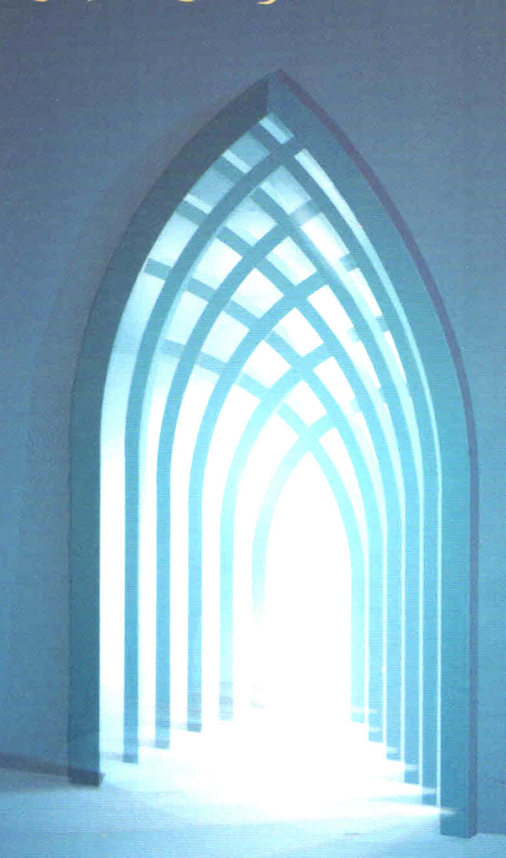
مسألة الهداية والإضلال

مفهومها وتعلقها بسر القدر والحكمة والتعليل

تأليف

د. محمد بن إبراهيم الحمد





مسألة

الهداية والإضلال

مفهومهما وتعلقهما بسر القدر والحكمة والتعليل

ⓒ شركة دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٤٣ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الحمد، محمد بن إبراهيم بن حمد
مسألة الهداية والإضلال مفهومُها وتعلقُها بِسِرِّ القدرِ والحكمةِ
والتعليلِ./ محمد بن إبراهيم بن حمد الحمد ـ
ط ـ ١، الرياض ١٤٤٣ هـ
١٢٨ ص؛ ١٤x٢٠ سم
ردمك: ٨-٩٥-٨٣٤٤-٦٠٣-٩٧٨
١ ـ القضاء والقدر (الإسلام) ٢ ـ الإيمان (الإسلام) أ. العنوان
ديوي ٢٤١ ١٤٤٣ / ٩٣١٥

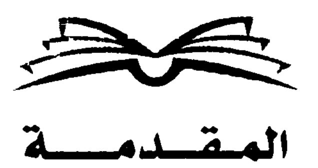
رقم الإيداع: ١٤٤٣/٩٣١٥
ردمك: ٨-٩٥-٨٣٤٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ ـ ٢٠٢٢م



شركة دار الحضارة للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥
هاتف: ٢٤١٦١٣٩ ـ ٢٤٢٢٥٢٨ فاكس: ٢٧٠٢٧١٩
فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨ تحويلة ١٠٣
الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨
البريد الإلكتروني: daralhadarah@hotmail.com


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن مسألة الهداية والإضلال مسألة عظيمة الشأن، بعيدة الغور، متفرعة الذيول، شديدة الارتباط بباب الإيمان بالقدر.

بل هي - كما يقول ابن القيم -: «قلب أبواب القدرِ ومسائلِه؛ فإن أفضل ما يقدر الله للعبد، وأجلّ ما يقسمه له - الهدى، وأعظم ما يبتليه به، ويقدّره عليه - الضلال، وكلُّ نعمة دون نعمة الهدى، وكل مصيبة دون مصيبة الضلال»[1].

---

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن قيم الجوزية، ص١٤١.

وهذه المسألة تتردد في الأذهان، وَتَرِدُ على الألسنة، وتكثر حولها الإشكالات والأسئلة؛ فلا غرو ـ إذاً ـ أن ضلت فيها أفهام، وزلت أقدام.

والسبب في ذلك: الاعتمادُ على العقل البشري القاصر بعيداً عن الاستضاءة بأنوار الوحي، وهدايته.

ومن هنا جاء هذا البحث حاملاً المسمى التالي: (مسألة الهداية والإضلال: مفهومها وارتباطها بِسِرِّ القدر والحكمة والتعليل).

مشكلة البحث:

تكمن في الأسئلة التالية:

١ ـ ما مفهوم مسألة الهداية والإضلال؟

٢ ـ ما المقصود بانفراد الله بالهداية والإضلال؟

٣ ـ ما أسباب الهداية والإضلال؟

٤ ـ ما علاقة مسألة الهداية والإضلال بِسِرِّ القدر، والحكمة، والتعليل؟

أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى ما يلي:

١ ـ بيان مفهوم الهداية والإضلال.

٢ ـ إيضاح المقصود بانفراد الله بالهداية والإضلال.

٣ ـ تجلية أسباب الهداية والإضلال إجمالاً وتفصيلاً.

٤ ـ إبراز علاقة هذه المسألة بِسِرِّ القدر الإلهي، والحكمة، والتعليل في أفعال الله.

أهمية البحث:

للبحث في هذه المسألة أهمية علمية في باب الدراسات العقدية، ويمكن إجمالها بما يلي:

١ ـ أنها متعلقة بباب الإيمان بالقدرِ، والإيمان بالقدر أحد أركان الإيمان الستة.

٢ ـ أن هذه المسألة من الموضوعات الكبرى التي كثُر فيها النزاع، وشاع حولها الاختلاف، وأورد من خلالها إشكالات، فالحاجة تمسُّ إلى تجليتها، وبيان الموقف الصحيح حيالها.

٣ ـ كون هذه المسألة ترد في غضون الكلام على القدر عموماً، والحاجةُ إلى إفرادها، ودراستها من خلال نصوص الكتاب، والسنة، وفهم سلف الأمة ـ من الأهمية بمكان.

٤ ـ ارتباطها بحياة الناس اليومية؛ حيث تُرى أثارُ الهداية والإضلال ظاهرة للعيان، وترد أسئلة حول أسباب كل منهما، وتحتاج إلى إجابة علمية مفصلة مقنعة.

خطة البحث:

اشتمل هذا البحث على ديباجة البحث، ومشكلته، وأهدافه، وأهميته، وتقسيماته.

تقسيمات البحث: جاء هذا البحث في ثلاثة مباحث، وخاتمة، وذلك كما يلي:

المبحث الأول: مفهوم مسألة الهداية والإضلال.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفهوم الهداية والإضلال لغة.

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: مفهوم الهداية لغة.

المسألة الثانية: مفهوم الإضلال لغة.

المطلب الثاني: مفهوم الهداية والإضلال شرعاً.

وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: مفهوم الهداية شرعاً.

المسألة الثانية: مفهوم الإضلال شرعاً.

المبحث الثاني: انفرادُ اللهِ بهما، وأسبابُهما.

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: انفرادُ الله بالهداية والإضلال.

المطلب الثاني: أسباب الهداية والإضلال عموماً.

المطلب الثالث: أسباب الهداية مفصَّلة.

المطلب الرابع: أسباب الإضلال مفصَّلة.

المبحث الثالث: تعلق مسألة الهداية والإضلال بِسِرِّ القدرِ، والحكمة، والتعليل.

وفيه: مدخل: مفهوم القدر، وتعلق مسألة الهداية والإضلال به عموماً.

المطلب الأول: تعلقها بِسِرِّ القدر الإلهي.



المطلب الثاني: تعلقها بمسألة الحكمة، والتعليل.

الخاتمة: وقد تضمنت خلاصة لأهم نتائج البحث، واحتوت على بعض التوصيات.

فإلى تفصيل ذلك، والله المستعان، وعليه التكلان.

محمد بن إبراهيم الحمد
الزلفي: ١١٩٣٢ ـ ص.ب: ٤٦٠
١/٨/١٤٤٢هـ
جامعة القصيم ـ كلية الشريعة والدراسات الإسلامية ـ
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
WWW.M-ALHAMAD.COM
M@M-ALHAMAD.COM
@M__ALHAMAD



المبحث الأول

مفهوم مسألة الهداية والإضلال

المطلب الأول: تعريف الهداية والإضلال لغة

المسألة الأولى: مفهوم الهداية لغة

أصل هذه الكلمة مادة (هدى).

قال ابن فارس رَحِمَهُ اللَّهُ : «الهاء والدال، والحرف المعتل: أصلان: أحدهما: التقدم للإرشاد، والآخر: بَعْثَةُ لَطَفْ»[١].

ثم بيّن معنى الأصل الأول؛ فقال: «فالأول قولهم: هَديتُه الطريق، أي تقدَّمتُه؛ لأرشده، وكل مُتَقَدِّم لذلك: هادٍ؛ قال:

إذا كان هادي الفتى في البلا

دِ صدرُ القناةِ أطاع الأميرا[٢]

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٦/ ٤٢.

(٢) المرجع السابق ٦/ ٤٢.

ثم أوضـح ما يتفرع عن هذا المعنى، فقال: «ويتشـعَّب عن هذا؛ فيقال: الهدى: خلاف الضلالة، تقول: هَدَيته هدىً.

ويقال: أَقْبَلَتْ هواديْ الخيـل؛ أي: أعناقها، ويقال: هاديها: أَوَّلُ رعيلٍ منها؛ لأنه المتقدم.

والهادية: العصا؛ لأنها تتقدم ممسكها؛ كأنها ترشده»[1].

ثم أوضح معنـى الأصل الآخر لهـذه المادة: وأنـه الهدية: وهي ما أَهْدَيْتَ من لَطَف إلى ذي مودة.

وأن من هـذا الباب: الهَـدِيَّ: وهي العـروس تُهدى إلى بعلهـا، ومنه الهَـدْي والهَدِيُّ: وهـو ما أهدي مـن النعم إلى الحرم[2].

فهذان الأصلان ـ إذاً ـ هما مدار هذه المادة.

والمقصـود ـ ههنـا ـ الـكلامُ علـى الأصـل الأول، وهـو الهدايـة؛ إذ المقـام ليس مقام الـكلام على الأصـل الآخر وهو الهدية، وما يتفرع عنها.

---

(١) المرجع السابق ٦/ ٤٢، وانظر: لسان العرب لابن منظور ١٥/ ٣٥٣.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة ٦/ ٤٣.

فالهداية: ضد الضلالة، يقال: هداه: هُدَىً، وهَدْياً، وهدايةً، أي أرشده، وبَصَّره، ودعاه إلى الصراط المستقيم، وبيَّن طريق الحق من طريق الباطل.

قال الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠].

أي: الصراط المستقيم الذي دعا إليه، وهو طريق الحق.

وقال: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ [الليل: ١٢].

أي: إن علينا تبيين طريق الهدى من طريق الضلال.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧].

أي: آثروا الضلالة على الهدى(١).

فهذا هو معنى الهداية في اللغة: الدلالة، والإرشاد، والتبيين، والتبصير.

ويرى أبو هلال العسكري: أن هناك فروقاً دقيقة بين بعض هذه المعاني المترادفة، يقول رَحِمَهُ اللَّهُ مفرقاً بين الهداية والإرشاد:

---

(١) انظر: لسان العرب ١٥/٣٥٣ ـ ٣٥٤.

«الفرق بين الهداية والإرشاد أن الإرشاد إلى الشيء هو التطريق إليه، والتبيين له.

والهداية هي التمكن من الوصول إليه»[١].

ثم يؤيد ذلك بقوله: «وقد جاءت الهداية للمهتدي في قوله ـ تعالى ـ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ فذكر أنهم دعوا بالهداية، وهم مهتدون لا محالة، ولم يجيء مثل ذلك في الإرشاد»[٢].

ثم ذكر فرقاً آخر، فقال: «ويقال ـ أيضاً ـ: هداه إلى المكروه، كما قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾.

والهدى: الدلالة؛ فإذا كان مستقيماً فهو دلالة إلى الصواب.

والإيمانُ هدىً؛ لأنه دلالة إلى الجنة، وقد يقال: الطريق هدى، ولا يقال: أرشد إلا إلى المحبوب، والراشد هو القابل للإرشاد»[٣].

هذا ويذكر أهل الوجوه والنظائر أن لفظ الهداية، وما

---

(١) الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري ص ٣٦٥.

(٢) المرجع السابق ص ٣٦٥.

(٣) المرجع السابق ص ٣٦٥.

يرادفها كالهدى، ونحوه يطلق على وجوه عدة أشهرها من غير ما ذكر آنفاً: الإسـلام، والإيمان، والقرآن، والتـوراة، والمعرفة، والرشاد، والسُّنة، والتوبة، والتوحيد[١].

المسألة الثانية: مفهوم الإضلال لغةً

أصل هذه المادة الضاد واللام، (ضَلَّ).

قال ابن فـارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الضاد، واللام: أصـل صحيح يدل على معنى واحد، وهو ضياع الشيء، وذهابه في غير حقه.

يقال: ضل يَضِل، ويَضَل، لغتان»[٢].

إلى أن قـال مبينـاً ما تُطْلَقُ عليه هـذه المادة مـن المعاني: «وكلُّ جائرٍ عن القصد ضالٌّ.

والضـلالُ، والضلالة بمعنـىً، ورجل ضِلِّيـل، ومضلَّل: إذا كان صاحب ضلال وباطل»[٣].

---

(١) انظـر: الوجـوه والنظائر فـي القـرآن الكريـم للدامغانـي ص٤٧٣، ونزهة الأعين النواظر لابن الجـوزي ٢/ ٢١٢، ٢/ ٢٢٦، والوجـوه والنظائر في القرآن الكريم د. سليمان القرعاوي ص ٦٣٢ ـ ٦٤٠.

(٢) معجم مقاييس اللغة ٣/ ٣٥٦.

(٣) معجم مقاييس اللغة ٣/ ٣٥٦.

ثـم قال مؤكـداً ما ذكره من معنـى هذه المـادة: «ومما يدل على أن أصل الضلال ما ذكرناه ـ قولهم: أُضِل الميت: إذا دُفِن؛ وذاك كأنه قد ضاع.

ويقولون: ضل اللبن في الماء»[١].

والضلالة ـ كمـا يقول الجرجانـي ـ هي «فقـدان ما يُوْصِلُ إلى المطلوب، وقيل: سلوك طريق لا يوصل إلى المطلوب»[٢].

والضلال ـ كما يقـول الكفوي ـ: «كل عـدول عن المنهج عمداً، قليلاً كان أو كثيراً؛ فهو ضلال»[٣].

والإضلال مقابل الاهتداء[٤].

والإضلال فـي كلام العرب ضِـدُّ الهدايةِ والإرشـادِ؛ يقال: أضللت فلاناً إذا وجهته للضلال عن الطريق.

قال لبيد بن أبي ربيعة ﷺ وهو في الجاهلية[٥]:

---

(١) معجم مقاييس اللغة ٣/٣٥٦.

(٢) التعريفات للشريف الجرجاني ص١٣٨.

(٣) الكليات لأبي البقاء الكفوي ص٥٦٧.

(٤) المرجع السابق ص٢١١.

(٥) انظر: لسان العرب ١١/ ٣٩٠ ـ ٣٩١.

مـن هـداه سبل الخيـر اهتـدى
ناعـم البـال ومـن شـاء أضـل[١]

ويشـير أبـو هـلال العسـكري إلـى معنى آخـر مـن معاني الضلال، فيقول: «وأصل الضلال: الهـلاك، ومنه قولهم: ضلت الناقة إذا هلكت بضياعها، وفي القرآن: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠] أي هلكنا بِتَقَطُّع أوصالنا»[٢].

وقال مفرقاً بين الغـيِّ والضلال ـ بعـد أن أوضح أن أصل الغي: الفساد ـ: «فالذي يوجبه أصل الكلمتين أن يكون الضلال عن الدين أبلغ من الغي فيه.

ويسـتعمل الضـلال ـ أيضاً ـ فـي الطريق كما يسـتعمل في الدين؛ فيقال: ضل عن الطريق إذا فارقه.

ولا يسـتعمل الغـي إلا فـي الديـن خاصـةً؛ فهـذا فرق آخر»[٣].

ثم أشـار إلى أن الضـلال يأتي بمعنـى الضيـاع، ومنه قوله

(١) ديوان لبيد بن ربيعة بين جاهليته وإسلامه، لزكريا صيام ص ٩٥.
(٢) الفروق في اللغة ص ٣٧٤.
(٣) الفروق في اللغة ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥.

ـ تعالى ـ: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾ [الضحى: ٧] أي: ضائعاً في قومك لا يعرفون منزلتك.

ويجوز أن يكون ضالاً في قوم ضالين؛ لأن من أقام في قوم نُسِبَ إليهم، كما يقولون: خالد الحذّاء؛ لنزوله بين الحذّائين، وأبو عثمان المازني؛ لإقامته في بني مازن، ولم يكن منهم[1].

كما أشار إلى أن الضلال يأتي بمعنى الإبطال، واستدل على ذلك بقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ١] أي: أبطلها[2].

هذا وتأتي مادة (ضل) وما يتصرف منها في القرآن الكريم في عدة وجوه يذكرها أهل الوجوه والنظائر، وأشهرها: الكفر، والخسار، والشقاء، والإبطال، والجهالة، والنسيان[3].

فهذا ـ إذاً ـ هو مفهوم الإضلال، واستعمالاته في كافة تصاريفه.

---

(١) انظر: الفروق في اللغة ص ٣٧٥.

(٢) انظر: الفروق في اللغة ص ٣٧٦.

(٣) انظر: الوجوه والنظائر للدامغاني ص ٢٩٢، ونزهة الأعين النواظر ٢/ ٢٢، والوجوه والنظائر للقرعاوي ص ٤٤٠ ـ ٤٤٣.

المطلب الثاني: مفهوم الهداية والإضلال شرعاً

المسألة الأولى: مفهوم الهداية شرعاً

سبق في المسألة الماضية الكلام على مفهوم مادة (الهداية) لغة، وما تدور حوله من معاني: الدلالة، والإرشاد، والتبيين، والتبصير، وما جرى مجرى ذلك من إطلاقاتها في القرآن الكريم.

ولا ريب أن المدلول الشرعي بمقربة من المدلول اللغوي لأصل المادة ـ عموماً ـ.

والهداية مصطلح شرعي، والمقصود بها ههنا الهداية الربانية.

والوقوف على مفهوم ذلك المصطلح يحتاج إلى عرض ما تتبين به الهداية في مفهومها الواسع، وما تتحدد به من كونها مقابلةً للإضلال.

ولا بد في ذلك من بيان أقسامها، وأنواعها؛ إذ هي تنقسم، وتتنوع باعتبارات، ثم يتوصل من بعد ذلك إلى تعريفها الشرعي، وهذا ما سيتبين من خلال ما يلي:

أولاً: مراتب الهداية الربانية للإنسان:

تنقسم الهداية الربانية للإنسان إلى أربع مراتب[١]:

المرتبة الأولى: الهداية العامة: وهي هداية كل نفس إلى مصالح معاشها، وما يقيها، وهي أعم المراتب.

قال الله ﷻ: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠][٢].

المرتبة الثانية: الهداية بمعنى البيان، والدلالة، والإرشاد، والتعليم، والدعوة إلى مصالح العبد في معاده.

وهذه خاصة بالمكلفين، وهي التي عم بجنسها كل مكلف من العقل، والفطنة، والمعارف الضرورية[٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه المرتبة: «وهذه الهداية لا تستلزم حصول التوفيق، واتِّباع الحق، وإن كانت شرطاً فيه، أو جزءَ سببٍ.

---

(١) وقد ارتضى هذه القسمة كثير من العلماء، ومن أبرز من فصل فيها الراغب الأصفهاني في مفرداته، وابن القيم في شفاء العليل، وسيأتي ذكر لما أورداه في ذلك.

(٢) انظر: شفاء العليل ص ١٤١، والمفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني ص ٥٦٣.

(٣) انظر: المفردات ص ٣٦٣، وشفاء العليل ص ١٤١.

وذلك لا يستلزم حصول المشروط، بل قد يتخلّف عنه المقتضى؛ إما لعدم كمال السبب، أو لوجود مانع»[1].

ثم يعلل لذلك، ويستدل له؛ فيقول: «ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ [فصلت: ١٧].

وقال: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ ﴾ [التوبة: ١١٥].

فهداهم هدى البيان والدلالة فلم يهتدوا؛ فأضلهم؛ عقوبة لهم على ترك الاهتداء أولاً بعد أن عرفوا الهدى؛ فأعرضوا عنه؛ فأعماهم بعد أن أراهموه.

وهذا شأنه ـ سبحانه ـ في كل من أنعم عليه بنعمةٍ، فكفرها؛ فإنه يسلبه إياها بعد أن كان نصيبَه وحظَّه، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال: ٥٣][2].

المرتبة الثالثة: هداية التوفيق والإلهام: وهي المستلزمة للاهتداء، والتي تعني توفيق الله، وإلهامه للعبد، ومشيئته الهداية له، وقذفها في قلبه[3].

---

(١) شفاء العليل ص١٦٨، وانظر: المفردات ص٥٦٣.

(٢) انظر: شفاء العليل ص١٦٨.

(٣) انظر: المرجع السابق ص١٤١.

وهذه الهداية يختص بها الله من اهتدى، وهو المعنيُّ بقوله ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [محمد: ١٧].

وقوله: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [التغابن: ١١][١].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه المرتبة أخصُّ من التي قبلها[٢]، وهي التي ضل جهال القدرية بإنكارها، وصاح عليهم سلف الأمة وأهل السنة منهم في نواحي الأرض عصراً بعد عصر إلى وقتنا الحاضر»[٣].

إلى أن قال: «وهذه المرتبة تستلزم أمرين: أحدهما: فعل الرب ـ تعالى ـ وهو الهدى.

والثاني: فعل العبد، وهو الاهتداء، وهو أثر فعله ـ سبحانه ـ فهو الهادي، والعبد: المهتدي، قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ﴾ [الإسراء: ٩٧].

ولا سبيل إلى وجود الأثر إلا بمؤثره التام؛ فإن لم يحصل

---

(١) انظر: المفردات ص٥٦٣.

(٢) يعني المرتبة الثانية، وهي هداية البيان، والدلالة، والإرشاد.

(٣) شفاء العليل ص١٧٠.

فعله لم يحصل فعل العبد، ولهذا قال ـ تعالى ـ: ﴿ تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ﴾ [النحل: ٣٧][(١)].

المرتبة الرابعة: الهداية إلى الجنة والنار يوم القيامة: قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [الصافات: ٢٢، ٢٣].

قال الراغب: «فإن قيل: كيف جُعلت الهداية دلالة بلطف، وقد قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴾، ﴿ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الحج: ٤] قيل: ذلك استعمل فيه استعمال اللفظ على التهكم، كقوله: ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الانشقاق: ٢٤].

وقول الشاعر:

....

تحية بينهم ضرب وجيع[(٢)(٣)]

---

(١) شفاء العليل ص ١٧٠، وانظر: ١٧١ ـ ١٧٣.

(٢) هذا عجز بيت ينسب لعمرو بن معديكرب الزبيدي وغيره، وصدره:

وخيل قد دلفت لها بخيل ....

من قصيدة مطلعها:

أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوع

انظر: خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي ٢/ ٢٩٢.

(٣) المفردات ص ٥٦٣.

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ۞ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۞ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: ٤ ـ ٦].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ تعليقاً على هذه الآية: «فهذه هداية بعد قتلهم؛ فقيل: المعنى: يهديهم إلى طريق الجنة، ويصلح بالهم في الآخرة بإرداء خصومهم، وقبول أعمالهم»[١].

فهذه هي مراتب الهداية الأربع.

ثانياً: الفرق بين هداية الدلالة والإرشاد وهداية التوفيق والإلهام:

الفرق هو أن الأولى ثابتة للرسل، وأتباعهم من الدعاة إلى الله، ولا تستلزم التوفيقَ، وقبولَ الحقِّ، واتباعَه.

وأما الثانية فهي بيد الله وحده لا شريك له؛ ولا تكون لأحد سواه، وهي التي يختص بها من يشاء من عباده.

قال ابن القيم: «وهذه الهداية[٢] هي التي أثبتها لرسوله؛ حيث قال: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

(١) شفاء العليل ص ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٢) يعني هداية الدلالة والإرشاد.

ونفى عنه تلك الهداية الموجبة، وهي هداية التوفيق والإلهام بقوله: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ [القصص: ٥٦]»[١].

إلى أن قال ذاكراً الجمع بينهما: «قال ـ تعالى ـ: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [يونس: ٢٥].

فجمع ـ سبحانه ـ بين الهدايتين العامة والخاصة؛ فعَمَّ بالدعوة حجةً مشيئةً، وعدلاً، وخصَّ بالهداية نعمةً مشيئةً، وفضلاً»[٢].

وقال الراغب الأصفهاني بعد أن ذكر مراتب الهدية: «وكلُّ هدايةٍ ذَكَر اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أنه منع الظالمين، والكافرين ـ فهي الهداية الثالثة، وهي التوفيق الذي يختص به المهتدون، والرابعة التي هي الثواب في الآخرة، وإدخال الجنة، نحو قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [آل عمران: ٨٦]»[٣].

---

(١) شفاء العليل ص١٦٩.
(٢) المرجع السابق ص١٦٩.
(٣) المفردات ص٥٦٤.

إلى أن قال: «وكل هداية نفاها الله عن النبي ﷺ وعن البشر، وذكر أنهم غير قادرين عليها فهي ما عدا المختص من الدعاء، وتعريف الطريق[1].

وذلك كإعطاء العقل، والتوفيق، وإدخال الجنة، كقوله ـ عزَّ ذِكْرُه ـ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]»[2].

ثم أورد جملة من الآيات في هذا السياق[3].

ثالثاً: معنى هدايةِ الصراطِ المستقيم:

معناها: الدلالة إلى دين الإسلام، والإرشاد إليه، والتوفيق لقبوله، وترك ما سواه من الأديان، وسلوك ما تحصل به السلامة والنجاة من الضلالة إجمالاً وتفصيلاً.

وذلك شامل للهداية إلى الصراط، والهداية فيه.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي في تفسير قوله ـ تعالى ـ:

---

(١) يقصد بقوله: (فهي ما عدا المختص من الدعاء، وتعريف الطريق): هداية التوفيق والإلهام.

(٢) المفردات ص ٥٦٤.

(٣) انظر: المفردات ص ٥٦٤.

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]: «أي: دلنا، وأرشدنا، ووفقنا إلى الصراط المستقيم، وهو الطريق الواضح الموصل إلى الله، وإلى جنته، وهو معرفة الحق، والعمل به»[١].

ثم أشار إلى ملمح لطيف في هذا السياق، وهو الهداية[٢] إلى الصراط، والهداية في الصراط، فقال: «فاهدنا إلى الصراط، واهدنا في الصراط؛ فالهداية إلى الصراط: لزوم دين الإسلام، وترك ما سواه من الأديان.

والهداية في الصراط: تشمل الهداية لجميع التفاصيل الدينية علماً، وعملاً»[٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمر الله ـ سبحانه ـ عباده كلهم أن يسألوه هدايتهم الصراط المستقيم كل يوم وليلة في الصلوات الخمس.

وذلك يتضمن الهداية إلى الصراط، والهداية فيه»[٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي ص ٢٥.

(٢) يعني هداية التوفيق والإلهام.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص ٢٥، وانظر: تفسير التحرير والتنوير، لابن عاشور ١/ ١٨٧ ـ ١٨٨.

(٤) شفاء العليل ص ١٧٢.

وقال في موضع آخر: «الهداية إلى الطريق شيء، والهداية في نفس الطريق شيء آخر؛ ألا ترى أن الرجل يعرف أن طريق البلد الفلاني هو طريق كذا وكذا، ولكن لا يحسن أن يسلكه؛ فإن سلوكه يحتاج إلى هداية خاصة في نفس السلوك، كالسير في وقت كذا دون وقت كذا، وأخذ الماء من مفازة كذا مقدار كذا، والنزول في موضع كذا دون كذا؛ فهذه في نفس السير يهملها من هو عارف بأن الطريق هي هذه؛ فيهلك، وينقطع عن المقصود»[(١)].

هذا وسيوضّح ما ذُكر ههنا ما سيأتي في الفقرتين التاليتين.

رابعاً: الهداية المجملة، والهداية المُفَصَّلة:

وقد مرت الإشارة إليها في الفقرة الماضية.

قال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في معرض شرحه لسؤالِ المؤمنِ الهدايةَ من الله: «فإن الهداية نوعان: هداية مجملة: وهي الهداية للإسلام، والإيمان، وهي حاصلة للمؤمن.

وهداية مفصلة: وهي هدايته إلى معرفة تفاصيل أجزاء الإيمان، والإسلام، وإعانته على فعل ذلك»[(٢)].

---

(١) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، لابن القيم ص٩.

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي ١/ ٤٠.

خامساً: تفاصيل الهداية إلى الصراط المستقيم:

مرت الإشـارة إلى أن من أنواع الهدايـةِ: الهدايةَ المفصلةَ، والكلامُ في هذه الفقرة مزيد بسط وإيضاح لتلك الهداية.

قال ابـن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معـرض كلام له عن افتقـار العبد إلى الهداية في كل لحظـة ونَفَسٍ في جميع ما يأتيه ويذره، قال معللاً لذلـك، مبيناً مـن خلاله تفاصيـل الهداية، ومـدى حاجة العبد إليها: «فإنه بَيْنَ أمورٍ لا ينفك عنها:

أحدهـا: أمور قـد أتاها على غيـر وجه الهدايـة جهلاً، فهو محتاج إلى أن يطلب الهداية إلى الحق فيها.

أو يكون عارفاً بالهداية فيها، فأتاها على غير وجهها عمداً، فهو محتاج إلى التوبة منها.

أو أمـور لم يعـرف وجـه الهداية فيهـا علمـاً ولا عملاً، ففاتتـه الهداية إلـى علمها ومعرفتهـا، وإلى قصدهـا وإرادتها وعملها»[1].

ويواصل ذكره لتفاصيل الهدايـة، فيقول: «أو أمور قد هدي إليها من وجه دون وجه، فهو محتاج إلى تمام الهداية فيها.

---

(١) المرجع السابق ص٨، وانظر: شفاء العليل ص١٧٢.

أو أمور قد هدي إلى أصلها دون تفاصيلها، فهو محتاج إلى هداية التفصيل.

أو طريق قد هدي إليها، وهو محتاج إلى هداية أخرى فيها»[١].

ثم يذكر تفاصيل أخرى من ذلك القبيل، فيقول: «وكذلك ـ أيضاً ـ ثَمَّ أمور هو محتاج إلى أن يحصل له فيها من الهداية في المستقبل مثل ما حصل له في الماضي.

وأمور هو خالٍ عن اعتقاد حق أو باطل فيها، فهو محتاج إلى هداية الصواب فيها.

وأمور يعتقد أنه فيها على هدى وهو على ضلالة ولا يشعر، فهو محتاج إلى انتقاله عن ذلك الاعتقاد بهداية من الله»[٢].

ويختم كلامه في هذا السياق، قائلاً: «وأمور قد فعلها على وجه الهداية، وهو محتاج إلى أن يهدي غيره إليها، ويرشده، وينصحه، فإهماله ذلك يفوت عليه من الهداية بحسبه كما أن هدايته للغير، وتعليمه، ونصحه يفتح له باب الهداية، فإن الجزاء

(١) رسالة ابن القيم ص٨ ـ ٩.

(٢) رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه ص٩، وانظر: شفاء العليل ص١٧٢ ـ ١٧٣.

من العمل، فكلمـا هَدَى غَيْـرَهُ وعلّمه هـداه الله وعلَّمه؛ فيصير هادياً مهديًّا»[1].

سادساً: تعريف الهداية شرعاً:

من خلال ما مضى تبيَّن مفهوم الهداية شـرعاً من جهة أنها مراتب يدخـل فيها الهدايـة العامـة، وهداية الدلالة والإرشـاد، وهداية التوفيق والإلهام، والهداية للجنة أو النار.

وتبيَّن ـ كذلك ـ مفهوم هداية الصراط المستقيم، وشمولها للهداية إليه وفيه، ومعنى الهداية المجملة، والمفصلة.

فالهدايـة ـ إذاً ـ هـي إيجـاد الهـدى، وهدايـة الله للعبد جعله مهتدياً.

وذلك يعني: اصطفاء الله للعبد، وعلمه بهدايته، وكتابتها له، ومشيئتها منه، وخلقها فيه؛ لحكم، وأسباب.

وبناءً علـى ذلك فإن الهدايـة يمكن أن تُعَرَّف شـرعاً بأنها: **تقديرُ اللهِ الاهتداءَ للعبد بدلالته إلى الصراط المستقيم، وتوفيقه، وإلهامِه لقبوله، وسلوكِه سبيله؛ حكمةً وتفضلاً.**

---

(١) رسالة ابن القيم ص٩ ـ ١٠.

ولعل في هذا التعريف جمعاً للقيود والأفراد التي تدخل تحته؛ إذ هو مشتمل على:

١ ـ كون الهداية بتقدير الله، وذلك شامل لمراتب القدر الأربع: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق.

٢ ـ كونه مشتملاً على نوعي الهداية، وهما هداية الدلالة والإرشاد، وهداية التوفيق والإلهام.

٣ ـ كونه مرتبطاً بالحكمة الربانية، والفضل الإلهي، وليس لمجرد محض المشيئة[١].

فهذا هو التعريف المختار للهداية شرعاً.

وبهذا ينتهي الكلام على مفهوم الهداية لغة، وشرعاً.

المسألة الثانية: مفهوم الإضلال شرعاً

سبق الكلام على مفهوم الإضلال لغة، وأن أصله مادة (ضل).

وتبين من خلال ذلك أن معاني الإضلال في الأصل ترجع إلى ذهاب الشيء، وذهابه في غير حقه، وأن الإضلال ضد الهداية والإرشاد، وأنه يطلق على الكفر، والخسار، والشقاء، والبطلان، والجهالة، ونحو ذلك.

---

(١) وسيأتي مزيد بيان لذلك في المسألة التالية، والمبحثين: الثاني والثالث.

والمدلول اللغوي ـ كما هو معلـوم ـ بمقربة من المدلول الاصطلاحـي الشـرعي، وإن كان الشـرع يخصـص اللغـوي، ويقيد دلالته.

والإضـلال مصطلح شـرعي، ولـه ـ بكافـة تصاريفـه التي وردت في الكتاب والسنة ـ مدلول.

والوقوف على ذلك المصطلح يحتاج إلى عرض يتبين من خلالـه مفهومه؛ إذ هـو كالهدايـة من جهة أنـه يتنوع، وينقسـم باعتبارات.

وقبل الشروع في مفهوم الإضلال شرعاً لا بد من الوقوف على معنى الضلال في لسـان الشـرع؛ إذ الضلال، والإضلال متداخلان متشابكان من وجوه عدة، وهذا ما سيتبين من خلال ما يلي:

أولاً: مفهوم الضلال في الشرع:

إذا كانت الهداية شـرعاً: هي الاهتداء إلى الصراط، وتعني الهدايـة إليـه، وفيـه ـ كمـا مر ـ فـإن الضـلال هو العـدول عن الصراط المستقيم[1].

---

(١) انظر: المفردات ص٣٠٨.

فالضلال مضادٌّ للهدايةِ والاهتداءِ؛ قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ [يونس: ١٠٨].

وغالباً ما يأتي الضلال في الشرع مقابلاً للهداية، والاهتداء.

قال الراغب في تعريف الضلال: «الضلال هو العدول عن الصراط المستقيم، ويضاده الهداية»[١].

وقال ابن عاشور: «والضلال في لسان الشرع مقابل للاهتداء»[٢].

ثانياً: مراتب الضلال:

الضلال مراتب، ويطلق على أعلاها، وعلى أدناها، وعلى ما بينهما.

قال الراغب: «ويقال: الضلال لكل عدول عن المنهج عمداً كان، أو سهواً، يسيراً كان، أو كثيراً؛ فإن الصراط المستقيم الذي هو المرتضى صعب جداً»[٣].

---

(١) المفردات ص٣٠٨.

(٢) تفسير التحرير والتنوير ١/١٩٩.

(٣) المفردات ص٣٠٨.

ثم استشهد لذلك بقول النبي ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا»[١].

وقـال ـ أيضاً ـ مؤكداً ما قرره في ذلـك: «فإذا كان الضلالُ تركَ الطريق المستقيم عمداً كان، أو سهواً، قليلاً كان، أو كثيراً ـ صح أن يستعمل لفظ الضلال ممن يكون منه خطأٌ ما»[٢].

ثـم علل لما قـرره آنفاً بقولـه: «ولذلك نُسِـب الضلال إلى الأنبياء، وإلى الكفار، وإن كان بين الضلالين بَوْنٌ بعيد؛ ألا ترى أنه قال في النبـي ﷺ: ﴿ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴾: الضحى: ٧ أي: غيـر مهتـدٍ لما سـبق إليك مـن النبـوة، وقال فـي يعقوب: ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَـدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥]، وقال أولاده: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [يوسـف: ٨]، وقال عن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الشعراء: ٢٠] نسبة إلى أن ذلك منه سهو»[٣].

وقال ابن عاشور مشيراً إلى مراتب الضلال الذي هو مقابل للاهتداء الشـرعي بخصوصـه: «والاهتداء هو الإيمـان الكامل، والضلال ما دون ذلك.

---

(١) أخرجه مالك (٦٥)، وأحمد (٢٢٤٣٦)، وابن المبارك في الزهد (١٢٠٤) وهو صحيح بمجموع طرقه.

(٢) المفردات ص٣٠٩.

(٣) المفردات ص٣٠٩.

قالوا: وله[١] عَرَضٌ عريض؛ أدناه: ترك السنن، وأقصاه: الكفر»[٢].

إلى أن قال: «وقد فسَّرنا الهداية أنها الدلالة بلطف؛ فالضلال عدم ذلك، ويطلق على أقصى أنواعه: الختم، والطبع، والأكِنَّة»[٣].

فالضلال ـ إذاً ـ يطلق على أقصى درجات الكفر والفساد، وعلى أدنى خطأ كان أو عمداً، أو سهواً، وعلى ما بينهما من برازخ، وهذا ما سيتبين في الفقرات التالية:

ثالثاً: أقسام الضلال:

ينقسم الضلال ـ باعتبار ـ إلى قسمين: أحدهما: ضلال في العلوم النظرية، والآخر: ضلال في العلوم العملية.

وإلى هذا التقسيم أشار الراغب في مفرداته، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «والضلال من وجه آخر ضربان: ضلال في العلوم النظرية: كالضلال في معرفة الله، ووحدانيته، ومعرفة النبوة، ونحوهما[٤]

---

(١) يعني: الضلال.

(٢) تفسير التحرير والتنوير ١/١٩٩.

(٣) تفسير التحرير والتنوير ١/١٩٩.

(٤) يعني بقية الأركان والأصول العقدية.

المشار إليهما بقوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَٰئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وضلال في العلوم العملية: كمعرفة الأحكام الشرعية التي هي العبادات»[١].

رابعاً: مفهوم الضلال البعيد:

الضلال البعيد في لسان الشرع هو الكفر[٢].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَٰئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ في تفسير هذه الآية: «وأي ضلال أبعد مِنْ ضلال ترك طريق الهدي المستقيم، وسلك الطريق الموصلة إلى العذاب الأليم»[٣].

إلى أن قال: «واعلم أن الكفر بشيء من هذه المذكورات[٤]

---

(١) المفردات ص٣٠٩.

(٢) انظر: المفردات ص٣٠٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص١٨٨.

(٤) يعني بها: المذكورة في الآية، وهي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم والآخر.

كالكفر بجميعها؛ لتلازمها، وامتناع وجود الإيمان ببعضها دون بعض»(١).

وقال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٦٧].

وقال: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ [سبأ: ٨]. أي: في عقوبة الضلال البعيد(٢).

خامساً: المقصود بالضالين:

هم من ضلُّوا عن الهدى، وتركوا الحق عن جهل وضلال(٣).

قال ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]: «والمراد من المغضوب عليهم والضالين: جنسا فِرقِ الكفر»(٤).

ثم أوضح معنى المغضوب عليهم فقال: «فالمغضوب عليهم: جنس للفِرق التي تعمدت ذلك، واستخفت بالديانة عن

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص١٨٨.

(٢) انظر: المفردات ص٣٠٩.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص٢٦.

(٤) تفسير التحرير والتنوير ١/١٩٩.

عمدٍ، وعـن تأويل بعيد جـداً تَحْمِل عليه غلبـةُ الهوى؛ فهؤلاء سـلكوا ـ من الصراط المسـتقيم الذي خُط لهم ـ مسـالكَ غير مستقيمة؛ فاستحقوا الغضب؛ لأنهم أخطأوا عن غير مَعْذِرة؛ إذ ما حملهم على الخطأ إلا إيثار حظوظ الدنيا»[١].

ثم أوضح المقصـود بالضاليـن، فقـال: «والضالون: جنس للفـرق الذيـن حرَّفـوا الديانـات الحـق عـن عمد، وعن سـوء فهم»[٢].

ثم بيَّـن أن كلا الفريقيـن ـ المغضوب عليهـم، والضالين ـ مذمومٌ معاقب، وعلـل لذلك بأن الخلق مأمورون باتباع سـبيل الحق، وبـذل الجهـد إلـى إصابتـه، والحـذر مـن مخالفتـه مقاصده[٣].

ثـم قـال ـ بعـد ذلـك ـ: «ومـا ورد فـي الأثـر مـن تفسـير المغضوب عليهم باليهود، والضاليـن بالنصارى ـ فهو من قبيل التمثيل بأشهر الفِرَق التي حقَّ عليها هذان الوصفان»[٤].

---

(١) تفسير التحرير والتنوير ١/ ١٩٩.

(٢) المرجع السابق ١/ ١٩٩.

(٣) انظر: المرجع السابق ١/ ١٩٩.

(٤) المرجع السابق ١/ ١٩٩.

سادساً: تعريف الإضلال شرعاً:

من خلال ما مضى، يتبين أن الضلال ضد الهداية، والاهتداء، وأنه عدولٌ عن الصراط المستقيم، وأنه مراتب بعضها دون بعض.

وهذا يعني أن الضلال فعل العبد، ونتيجة أفعاله؛ إذ يقال للضال: ضل.

أما الإضلال: فهو من الله ﷻ فهو الذي يُضِل من يشاء، ويهدي من يشاء.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن قرر أن الرسل عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ قد اتفقوا على أن الهدى، والإضلال بيد الله ـ سبحانه ـ لا بيد العبد، وأن العبد هو الضال، أو المهتدي، قال: «فالهداية والإضلال فعله ـ سبحانه ـ وقدره، والاهتداء، والضلال فعل العبد وكسبه»[١].

فالإضلال ـ إذاً ـ إيجاد الضلال، وأُضِل فلان: جُعِل ضالاً، وأضله الله: أي جعله ضالاً.

---

(١) شفاء العليل ص ١٤١.

وإضـلال الله للعبـد: جَعْله ضـالاً، أي: من أهـل الضلال، والشقاء.

وذلك يعنـي علـمَ اللهِ بضـلال العبـد، وكتابتَهُ ذلـك عليه، ومشيئتَهُ له، وخَلْقَهُ فيه؛ لحكمة، وأسباب.

وبنـاءً على ذلك فإنـه يمكن تعريـف الإضلال شـرعاً بأنه: **تقدير اللهِ الضلالَ على العبد بخذلانـه له، وتَرِكَ توفيقه، وصرفه عن الاهتـداء إلى أصل الصراط المسـتقيم، أو بعـض تفاصيله؛ حكمةً، وعدلاً.**

ولعل في هـذا التعريـف المختصر جمعاً للقيـود، والأفراد التي تدخل تحته؛ إذ هو مشتمل على:

١ ـ كونـه بتقدير الله، وذلك شـاملٌ لمراتـب القدر الأربع: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق.

٢ ـ كونه شاملاً للإضلال عن الهداية إلى الصراط، أو فيه؛ فيدخل ضمن ذلك: إضـلال العبد عن الهدايـة العامة المجملة التي هي الإضلال عن الإسـلام أساسـاً، أو إضلاله عن الهداية الخاصة المفصلة التي تعني تفاصيل الهداية.

٣ ـ كونه مشتملاً على بيان أن الإضلال مرتبط بالعدل الإلهي، والحكمة الربانية، وليس لمحض المشيئة فحسب(١).

فهذا ـ إذاً ـ هو مفهوم الإضلال شرعاً.

وبهذا ينتهي المبحث الأول الذي دار حول مفهوم الهداية والإضلال.

* * *

(١) هذا وسيأتي مزيد بيان وتفصيل لذلك في المطلب الثاني عند تفصيل الكلام على انفراد الله بالهداية والإضلال، والكلام على أسبابهما، وكذلك في المبحث الثالث عند الكلام على ارتباط مسألة الهداية والإضلال بالقدر السابق، والحكمة الربانية، وسر القدر الإلهي.



المبحث الثاني

انفرادُ اللهِ بهما، وأسبابُهما

المطلب الأول: انفراد الله بالهداية والإضلال

من خلال ما مضى من بيان مفهوم الهداية، والإضلال شرعاً ـ يتبين انفراد الله ﷻ بالهداية والإضلال؛ فذلك من مقتضيات ربوبيته، وانفراده بها ـ تبارك وتعالى ـ.

فكما أنه ـ وحده ـ المنفرد بالرزق، والخلق، والإحياء، والإماتة، والإعطاء، والمنع، ونحو ذلك من مقتضيات الربوبية ـ فهو كذلك المنفرد بالهداية، والإضلال؛ فلا هادي إلا هو، ولا مضلَّ إلا هو.

قال ـ جل ثناؤه ـ: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٨].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير هذه الآية: «قال ـ تعالى ـ مبيناً أنه المنفرد بالهداية والإضلال: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ ﴾ بأن يوفقه للخيرات، ويعصمه من المكروهات، ويعلمه ما لم يكن يعلم.

﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى﴾ حقًا؛ لأنه أثر هدايته ـ تعالى ـ ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ فيخذله، ولا يوفقه للخير ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ لأنفسهم وأهليهم يوم القيامة، ألا ذلك هو الخسران المبين»[1].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ...﴾ [الإسراء: ٩٧].

قال السعدي في تفسيرها: «يخبر ـ تعالى ـ أنه المنفرد بالهداية والإضلال؛ فمن يهده؛ فييسره لليسرى، ويجنبه العسرى ـ فهو المهتدي على الحقيقة.

ومن يُضْلِله؛ فيخذله، ويكِله إلى نفسه فلا هادي له من دون الله»[2].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله ـ تعالى ـ: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧] قال: «أي لا سبيل إلى الهداية إلا من الله؛ فهو الهادي المرشد إلى مصالح الدارين.

﴿وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾: أي لا تجد من

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ص ٢٨٧.

(٢) المرجع السابق ص ٤٤١.

يتـولاه، ويدبـره علـى ما فيـه صلاحـه، ولا يرشـد إلـى الخير والفلاح؛ لأن الله قد حكم عليه بالضلال، ولا رادَّ لحُكْمِه»[1].

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ مقرراً هذا المعنى: «وقد اتفقت رسـل الله مـن أولهـم إلـى آخرهـم، وكتبـه المنزلـة عليهـم علـى أنه ـ سبحانه ـ يُضِل من يشـاء، ويهدي من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي لـه، وأن الهدى والإضلال بيده لا بيد العبد»[2].

وعقد رَحِمَهُ اللَّهُ فـي (شـفاء العليـل) بابـاً جمع فيـه ما يدخل تحـت الإضـلال، فقـال: «البـاب الخامـس عشـر: فـي الطبع، والختم، والقَفْل، والغُل، والسد، والغشاوة، والحائل بين الكافر وبين الإيمان، وأن ذلك مجعول للرب ـ تعالى ـ»[3].

ثم فَصَّل القول في ذلك، وأثبت من خلاله أن ذلك كله بيد الله ـ تعالى ـ وأنه وحده المنفرد به دون من سواه[4].

وهكذا يتبين أن الله عَزَّ وَجَلَّ هو المنفرد بالهداية والإضلال.

---

(١) المرجع السابق ص٤٤٦.

(٢) شفاء العليل ص١٤١.

(٣) المرجع السابق ص١٨١.

(٤) انظر: المرجع السابق ص١٨١ ـ ٢٣٠.

وهذا لا ينافي أن يهدي بعض المخلوقين بعضاً، وأن يضل بعضهم بعضاً.

أما هدايتهم لبعض فقد مرت الإشارة إليها عند الكلام على الفرق بين هداية الدلالة والإرشاد، وبين هداية التوفيق والإلهام؛ حيث إن الخلق يهدي بعضهم بعضاً الهدايةَ الأولى دون الثانية.

وكذلك الحال بالنسبة للإضلال؛ فإن بعض الخلق قد يضل بعضاً بالإغواء، والتزيين، والاستخفاف، والتسلط، والدلالة على الشر، والباطل، ونحو ذلك مما هو من صنيع الشياطين، ورفاق السوء، ودعاة الضلالة؛ فإضلال المخلوقين بعضهم بعضاً هو من هذا الباب.

وليس بأن يُقْذَفوا في قلوبهم الضلالة، وذلك بعدم توفيقهم لقبول الهداية؛ فذلك بيد الله وحده ـ كما مر ـ.

قال ﷻ عن الشيطان: ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴾ [يس: ٦٢] أي خلقاً كثيراً[١].

وقال عن الذين أضلهم رفاق السوء: ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص ٦٦٥.

فُلَانًا خَلِيلًا ۝ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

وقال عن الذين أطاعوا أكابرهم دونما بيِّنة: ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ [الأحزاب: ٦٧].

وقال عن فرعون: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ﴾ [الزخرف: ٥٤]، وقال: ﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴾ [طه: ٧٩].

وهكذا يتضح الفرق بين الإضلال المنفرد به الله ﷻ والإضلال الذي هو بمقدور المخلوقين، ويتبين أن لا تنافي بين انفراد الله ﷻ بالهداية والإضلال، وكون المخلوقين قد يهدي بعضهم بعضاً، ويضل بعضهم بعضاً[1].

المطلب الثاني: أسباب الهداية والإضلال عموماً

مر في المسألة الماضية أن الله ﷻ منفرد بالهداية والإضلال، وأنهما بيده لا بيد غيره؛ فهو الهادي لمن شاء، المضل لمن شاء، وما اهتدى أحد إلا بمشيئته، ولا ضلَّ إلا بمشيئته.

ولكن ذلك لا يعني الجبرية، ولا أن الإنسان مسلوب

---

(١) انظر: شفاء العليل ص ١٤١، و١٨١، وتيسير الكريم الرحمن ص ٢٨٧، و٤٤٦.

الإرادة، ولا يعني ـ أيضاً ـ تعطيل الأسباب، أو أن الهداية والإضلال لمحض المشيئة دون حكمةٍ، أو أسبابٍ يأخذ بها العباد؛ إذ لابد لحصول كل واحد منهما أسباب؛ شأنهما شأن غيرهما من المرتبطة بالأخذ بالأسباب، كالرزق، والعلم، والعلاج، والمغفرة ونحوها مما يحتاجه العباد في دنياهم وأخراهم، ومما هو بيد الله ـ تبارك وتعالى ـ، وأن ذلك لا ينافي حصوله بأسباب؛ فكذلك الهداية والإضلال؛ إذ هناك أسباب تقود إلى الهداية، وهناك أسباب تقود إلى الضلال(١).

قال الراغب الأصفهاني مبيناً أسباب حصول الهداية والضلالة على وجه الإجمال، وأنها راجعة إلى الرغبة في الهدى، وطلبه، وتحرِّيه، قال: «وإلى هذا المعنى أشار بقوله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]، وقوله:

---

(١) انظر: شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان ٢/ ٦٢٩، وشفاء العليل ص ٥٠ ـ ٥٣، والشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، د. عبد الرزاق البدر ٨٦ ـ ٨٩، وتيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، للشيخ السعدي ص ١٢، والقضاء والقدر لأبي الوفاء محمد درويش ص٥٣ ـ ٦١، والأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة للشيخ الدوسري ص١١٨ ـ ١٢٤، والتوكل على الله وعلاقته بالأسباب د. عبد الله الدميجي ص١٦٣ ـ ١٩٤.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ [الإسراء: ٩٧]: أي طالب الهدى، ومتحرِّيه هو الذي يوفقه، ويهديه إلى طريق الجنة، لا من ضادَّه؛ فيتحرى طرق الضلال، والكفر، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وفي أخرى: ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]»[1].

ثم بيَّن معنى الكاذب الكفار، فقال: «الكاذب الكفار: هو الذي لا يقبل هدايته؛ فإن ذلك راجعٌ إلى هذا، وإن لم يكن لفظه موضوعاً لذلك»[2].

ثم يزيد الأمر إيضاحاً؛ فيقول: «ومن لم يقبل هدايته لم يهده، كقولك: من لم يقبل هديتي لم أُهْدِ له، ومن لم يقبل عطيتي لم أُعْطِه، ومن رغب عني لم أرغب فيه»[3].

وقال السعدي مقرراً هذا المعنى: «ومشيئته ـ تعالى ـ لا تنافي ما جعله من الأسباب الدنيوية والأخروية؛ فقد أخبر في عدة آيات: أنه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء.

---

(١) المفردات ص ٥٦٤.

(٢) المفردات ص ٥٦٤.

(٣) المفردات ص ٥٦٤.

وفي آيات أخر أخبر بالأسباب التي تُنال بها هدايةُ الله، ويستحق العبد أن يبقى على ضلالة»[١].

ثم أورد رَحِمَهُ ٱللَّهُ جملة من الآيات في هذا السياق[٢].

وقال بعد ذلك مبيناً ارتباط الأسباب بالمسببات في أمور أخرى كالمغفرة، والعذاب، والرزق وغيرها، قال: «وكذلك أخبر في عدة آيات أنه يغفر لمن يشاء، ويعذب من يشاء، وفي آيات أخر أخبر عن الأسبابِ التي تنال بها مغفرة الله، مثل قوله: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [طه: ٨٢]، والأسبابُ التي يستحق بها العذاب مثل قوله: ﴿ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴾ [طه: ٤٨]»[٣].

ثم انتقل إلى الكلام في شأن الرزق، فقال: «وكذلك أخبر في آيات كثيرة أن يرزق من يشاء، ويوسع الرزق على من يشاء، ويقبضه عمن يشاء، وفي آيات أخر ذكر الأسباب التي

---

(١) الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية للسعدي ص٣٦.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٣٦ ـ ٣٨.

(٣) المرجع السابق ص٣٧.

ينال بها رزقه، مثل قوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، وقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

كما ثبت في الصحيح[1] عن النبي ﷺ أنه قال: «من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أجله ـ فليصل رَحِمَه»[2].

ثم ختم كلامه في هذا السياق، فقال: «وجميع المطالب الدنيوية، والأخروية جعل لها أسباباً متى سلكها الإنسان حصل على مطلوبه.

وقد جمع النبي ﷺ ذلك كله في كلمة واحدة، فقال: (احرص على ما ينفعك، واستعن بالله)[3].

فقوله: (احرص على ما ينفعك): أي في دينك ودنياك، واسلك كل طريق يوصلك إلى هذه المنفعة.

ولكن لا تتكِّل على حولك، وقوَّتك، بل توكل على الله،

(١) صحيح البخاري (٥٩٨٥)، ومسلم (٢٥٥٧).
(٢) الدرة البهية ص ٣٧ ـ ٣٨.
(٣) أخرجه مسلم (٢٦٦٤).

واستعن به؛ فمن فعل ذلك فهو عنوان سعادته ونجاحه، وإلا فلا يَلُمِ العبد إلا نفسه»[١].

فهذه أسباب الهداية والإضلال على سبيل الإجمال.

المطلب الثالث: أسباب الهداية مفصلة

الهداية تنال بأسباب كثيرة، مجملة ومفصلة.

أما إجمالها فبالرغبة فيها، وقبولِها، وسلوكِ السبل المفضية إليها ـ كما مر ـ.

أما تفصيل ذلك فبأمور كثيرة تتبين من خلال ما يلي ـ مع ملاحظة أن بعضها داخل ضمن بعض ـ:

أولاً: الإيمان والعمل الصالح:

فذلك من أعظم أسباب الهداية، إلى الصراط المستقيم، وفيه.

ويدخل تحت ذلك أفراد كثيرة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡ ﴾ [يونس: ٩].

---

(١) الدرة البهية ص ٣٨.

قال السعدي في تفسيرها: «يقول الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾: أي جمعوا بين الإيمان، والقيام بموجبه، ومقتضاه من الأعمال الصالحة المشتملة على أعمال القلوب، وأعمال الجوارح على وجه الإخلاص والمتابعة ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ﴾: أي بسبب ما معهم من الإيمان يثيبهم الله أعظم الثواب، وهو الهداية؛ فيعلمهم ما ينفعهم، ويمنّ عليهم بالأعمال الناشئة عن الهداية»[1].

إلى أن قال: «ويهديهم للنظر في آياته، ويهديهم في هذه الدار إلى الصراط المستقيم، وفي دار الجزاء إلى الصراط الموصلة إلى جنات النعيم»[2].

ويدخل في جملة الإيمانِ والعمل الصالحِ: الاستجابةُ لأمر الله، واتباعُ مراضيه، والعمل بما يقرب منه.

قال الله ﷻ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ۞ وَإِذًا لَّأَتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ۞ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [النساء: ٦٦ ـ ٦٨].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٣٣٦.

(٢) المرجع السابق ص٣٣٦.

فبيّن ﷻ أن القيام بأمره، سبب للثبات، والهداية إلى الصراط المستقيم[١].

وقال ـ جل ثناؤه ـ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ ـ ٧] أي من أعطى ما أمر به من العبادات المالية كالزكوات، والصدقات، والإنفاق في وجوه الخير، والعبادات البدنية، كالصلاة، والصوم، ونحوهما، والعبادات المركبة منهما كالحج والعمرة ونحوهما، وصَدَّق بشهادة التوحيد، وما دلَّت عليه من العقائد الدينية، وما ترتب عليها من الجزاء الأخروي ـ فسيسهل الله عليه أمره، وسييسر له كل خير، وترك كل شر؛ لأنه أتى بأسباب الهداية، والتيسير[٢].

وثبت في الصحيحين أن الصحابة ﷺ حين ذكر لهم النبي ﷺ القدر السابق قالوا: يا رسول الله أفلا نتكل على كتابنا، وندع العمل؟.

قال: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له؛ أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه

---

(١) انظر: المرجع السابق ص١٦٦.

(٢) انظر: المرجع السابق ص٨٨٦.

الآيـة: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنْۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠]»[1].

قال السعدي معلقاً على هذا الحديث: «فبيَّن» أن السعادة والشقاوة ـ وإن كانت مقدرةً مفروغاً منها ـ فإن الله قدرها بأسبابها، وهو أن الله ييسر أهل السعادة لليسرى بما فعلوه من هذه الأسباب الثلاثة، وهي قوله: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴾.

وأنه ييسر أهل الشقاوة للعسرى بما قدَّره من الأسباب الثلاثة، وهي قوله: ﴿ وَأَمَّا مَنْۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾»[2].

هذا وإن الآيات في هذا السياق كثيرة، كما قوله ـ تعالى ـ: ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٦].

---

(١) انظر: صحيح البخاري (١٣٦٢ و٤٩٤٦ و٧٥٥٢) ومسلم (٢٦٤٧).
(٢) الدرة البهية ص ٣٥.

ثانياً: الدعاء:

فهو من أعظم الأسباب لحصول الهدية، والثبات عليها.

وسؤالُ الله الهداية أعظم المطالب، وأرجح المكاسب؛ فكما أن الله ﷻ هو واهب الرزق، والعافية، والعلم ونحوها ـ فهو كذلك واهب الهداية.

وكما أن هذه الأشياء ونحوها تطلب من الله ـ فكذلك الهداية.

جاء في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يقول إذا قام يصلي من الليل: «اللهم رب جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[١].

وقال ـ تعالى ـ فيما روى عنه رسوله»: «يا عبادي كلكم ضالٌ إلا من هديته فاستهدوني أهدكم»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم (٧٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

فقوله: «من هديته»: أي من وفقته، وألهمته رشده.

وقوله: «فاستهدوني»: أي اسألوني الهداية، واطلبوها مني وحدي دون من سواي.

قال الله ـ تعالى ـ: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص: ٥٦].

ولهذا أمرنا الله ﷻ أن نقول في كل ركعة: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]؛ لشدة حاجتنا إلى الهداية.

وقوله ﷻ: «أهدِكم»: أي إذا سألتموني الهداية هديتكم إياها(١).

ثالثاً: المجاهدة:

فهي سبيل إلى تحصيل الهداية؛ فالذي يجاهد نفسه في مراضي الله ﷻ حريٌّ بأن يُيسَّر للهدى، ويُجنَّب الضلالة.

---

(١) انظر: صحيح مسلم ١٦/ ١٣٤، وجامع العلوم والحكم لابن رجب ٣٩ ـ ٤٠.

قـال الله ـ تعالـى ـ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال السـعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسـيرها: «وهم الذين هاجروا في سـبيل الله، وجاهـدوا أعداءهـم، وبذلـوا مجهودهـم فـي اتباع مرضاتـه ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾: أي الطـرق الموصلـة إلينـا؛ لأنهم محسنون.

وإن الله لمع المحسنين بالعون، والنصر، والهداية»[1].

ثم ختم ذلك بقوله: «دلَّ هذا على أن أحرى الناس بموافقة الصواب أهل الجهـاد، وعلى أن من أحسـن فيما أمـر به أعانه الله، ويسر له أسباب الهداية»[2].

فهذه الأمور ـ وهـي الإيمـان، والعمل الصالـح، والدعاء، والمجاهـدة ـ هي أصول الأسـباب الموصلة للهدايـة، ويندرج تحتها من الأسباب الفرعية ما لا يحصى.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٠٧.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص ٦٠٧.

المطلب الرابع: أسباب الإضلال مفصلة

شأنُ الإضلالِ شأن الهداية من جهة أنهما بيد الله ـ تبارك وتعالى ـ وأن لكل واحدٍ منهما أسباباً.

وقد مر الكلام على أسباب الهداية، والكلام ههنا سيدور حول أسباب الإضلال؛ إذ هناك أسباب لإضلال العبد، وصرفه عن سواء الصراط.

ونصوص الشرع بيّنت أسباب الضلال والإضلال على وجه التفصيل.

وقبل ذلك يحسن الوقوف على تساؤل يثار، ومفاده: هل الإضلال سبب للضلال، أو العكس؟

والجواب أن هذه المسألة قد تطرق لها بعض العلماء، ومن أحسن مَن فَصَّل القول فيها: الراغب الأصفهاني في مفرداته؛ حيث حرر الكلام فيها تحريراً عالياً رغم وجازة كلامه فيها؛ يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والإضلال ضربان:

أحدهما: أن يكون سببه الضلال: وذلك على وجهين:

إما بأن يضل عنك الشيء، كقولك: أضللت البعير، أي ضل عني، وإما أن تحكم بضلاله.

والضلال في هذين سبب الإضلال»[1].

ثــم بيّن الضرب الثانــي، فقال: «والضرب الثانــي: أن يكون الإضلال ســبباً للضلال، وهو أن يُزيِّن للإنسان الباطل؛ ليضِلَّ، كقوله: ﴿ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ ﴾ [النساء: ١١٣].

﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ [آل عمران: ٦٩].

أي يتحــرّون أفعالاً يقصدون بهــا أن تضل؛ فلا يحصل من فعلهم ذلك إلا ما فيه ضلال أنفسهم.

وقال عن الشيطان: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾ [النساء: ١١٩].

وقــال فــي الشــيطان: ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ﴾ [يس: ٦٢]»[2].

ثــم أوضــح بعــد ذلــك ســبب إضــلال الله للعبــد، فقــال: «وإضلال الله للإنسان على أحد وجهين:

أحدهما: أن يكون ســببه الضلال: وهو أن يضل الإنســان؛

---

(١) المفردات ص ٣١٠.

(٢) المفردات ص ٣١٠.

فَيَحْكُم الله عليه بذلك في الدنيا، ويَعْدِلُ به عن طريق الجنة إلى النار في الآخرة»[١].

ثم بين أن ذلك الإضلال «هو حق وعدل؛ فالحكمُ على الضال بضلاله، والعدولُ به عن طريق الجنة إلى النار حقٌّ وعدل»[٢].

ثم شرع في بيان الوجه الثاني، فقال: «والثاني من إضلال الله: هو أن الله ـ تعالى ـ وضع في جِبِلَّة الإنسان على هيئةٍ إذا راعى طريقاً محموداً كان أو مذموماً أَلِفَه، واستطابه، وتعذر صرفه، وانصرافه عنه، ويصير ذلك كالطبع الذي يأبى على الناقل[٣]، ولذلك قيل: العادة طبعٌ ثانٍ»[٤].

---

(١) المفردات ص ٣١٠.

(٢) المفردات ص ٣١٠.

(٣) هذا تضمين لقول المتنبي:

يـراد مـن القلب نسيانكم ويأبى الطباع على الناقل

من قصيدته التي يقول مطلعها:

إلام طـمـاعـيـة الـعـاذل ولا رأي فـي الحـب للعاقـل

انظر: ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري ٣/ ٢١ ـ ٢٢.

(٤) المفردات ص ٣١٠.

إلى أن قـال: «وإذا كان كذلك ـ وقد ذكر في هذا الموضع أن كل شيء يكون سبباً في وقوع فِعل ـ صَحَّ نسبة ذلك الفعل إليه؛ فصحَّ أن ينسب ضلال العبد إلى الله من هذا الوجه؛ فيقال: أضله الله»[1].

ثم أورد جملة من الآيات في ذلك السياق كقوله ـ تعالى ـ: ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٨]، وقوله: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦]، ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [غافر: ٧٤]، ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

فهذا التقسيم الذي ذكره الراغب تقسيم حسن صحيح، ويدخل تحته جملة كثيرة من الأسباب الموجبة للإضلال.

وقد جاءت النصوص في تفصيلها، وبيانها بجلاء؛ إذ رَبَطت إضلال الله للعبد بتلك الأسباب.

وفيما يلي بيان لتلك الأسباب بشيء من البسط، مع ملاحظة أن بعضها داخل في بعض:

---

(١) المفردات ص ٣١٠.

أولاً: الكفر:

وذلك شـامل للكفر بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وذلك أعظم الأسباب، وهو رأسها، وأساسها.

قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد: ١].

وقـال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٦٧][1].

وقال: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [غافر: ٧٤].

هـذا ويدخل تحت هـذا السـبب ـ وهو الكفـر ـ جملة من الأوصاف التي هي من جملة أفرادِ شُعَبه.

وهذه الأوصـاف الداخلة تحت الكفر من جملة الأسـباب الموجبة للإضلال.

وأعظمها: اتباع الهوى، واسـتحباب العمى على الهدى،

---

(١) المفردات ص ٣٠٩، وتيسير الكريم الرحمن ص ١٨٨.

والإسراف، والكبر، والجبروت، والزيغ، والارتياب، والتكذيب بالحق[١].

هذا وسيأتي مزيد بيان لهذه الأسباب عند تفصيل الكلام على بقية الأسباب.

ثانياً: الإعراض عن الله ﷻ:

فذلك من أعظم أسباب الوقوع في الضلال.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهكذا إذا أعرض العبد عن ربه ـ سبحانه ـ جازاه بأن يعرض عنه؛ فلا يُمَكِّنُه من الإقبال عليه»[٢].

ثم ضرب مثلاً بما وقع لإبليس لما أعرض عن الله ﷻ، فقال: «ولتكن قصة إبليس منك على ذُكْر تنتفع بها أتمّ انتفاع؛ فإنه لما عصى ربه ـ تعالى ـ ولم يَنْقَذْ لأمره، وأصر على ذلك ـ عاقبه بأن جعله داعياً إلى كل معصية؛ فعاقبه على معصيته الأولى بأن جعله داعياً إلى كل معصية وفروعها: صغيرها، وكبيرها»[٣].

---

(١) انظر: شفاء العليل ص١٧١، و١٨١ ـ ٢٣٠، و٣٨٠ ـ ٣٨٥، والدرة البهية ص٣٦؛ ففي ذلك تفصيل بالأدلة.

(٢) شفاء العليل ص٢٠٧.

(٣) المرجع السابق ص٢٠٧.

إلى أن قال مبيناً بمزيد بسط لما يترتب على الإعراض: «وصار هذا الإعراض، والكفر منه عقوبة لذلك الإعراض، والكفر السابق»(١).

قال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فكل من اتبع الظن، وما تهوى الأنفس، وترك اتباع الهدى ودين الحق الذي بيَّنه الله ـ تعالى ـ وأمر به في كتبه، وعلى ألسن رسله، وفطر عليه عباده، وضرب له الأمثال المشهودة والمسموعة ـ فهو متبع لإبليس في هذا له نصيب من قوله: ﴿ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأعراف: ١٨]»(٢).

وقال ـ أيضاً ـ: «﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴾ والسُّعُر: من أعظم الشقاء، وهذا باب واسع.

وإنما المقصود هنا التنبيه على هذا الأصل، وهو أن من أعرض عن هدى الله علماً وعملاً فإنه لا يحصل له مطلوب، ولا ينجو من مرهوب، بل يلحقه من المرهوب أعظم مما فر منه، ويفوته من المطلوب أعظم مما رغب فيه.

---

(١) المرجع السابق ص٢٠٧.

(٢) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية ١/١٤٩.

وأمـا المتبعـون لهـداه فإنهـم على هـدى من ربهـم، وهم المفلحون الذين أدركوا المطلوب ونجوا من المرهوب»(١).

ثالثاً: إغواء الشياطين، واتّباع خطواتهم:

إذ الشـياطين من أشـد ما يصرف الإنسـان عن فطرته التي فطره الله عليها.

جـاء فـي حديـث عياض بـن حمـار رضي الله عنه قـال: قـال رسـول الله ﷺ: «يقـول الله ـ تعالـى ـ: «وإنـي خلقـت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم»(٢).

قـال الله عز وجل مبينـاً عداوة الشـيطان لابـن آدم، وحرصه على إغوائه وصرفه عن الهدايـة، وجرّه إلى الضلالة: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۞ ثُمَّ لَأَتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

وبَيَّن ـ تبارك وتعالى ـ أن الشـيطان يضل من اتبعه وتولاه، قـال عز وجل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ

(١) المرجع السابق ١/١٤٩ ـ ١٥٠.

(٢) رواه مسلم (١٢٥٨).

شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۞ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الحج: ٣، ٤].

قال السعدي في تفسير هذه الآية: ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾: أي قُدِّر على هذا الشيطان المريد ﴿أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ﴾: أي اتبعه ﴿فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ﴾: عن الحق، ويجنبه الصراط المستقيم»[1].

وأخبر ـ جل ثناؤه ـ عن الشيطان أنه قال: ﴿ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ﴾: أي عن الصراط المستقيم ضلالاً في العلم، وضلالاً في العمل[2].

رابعاً: إضلال الطغاة لأتباعهم:

فذلك من أعظم أسباب الضلال، والانحراف عن سوءا الصراط، كما أخبر الله عن فرعون لما دعاه موسى عليه السلام إلى الهدى، قال ﷻ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴾ [غافر: ٢٦].

قال السعدي في تفسير هذه الآية: «وهذا من أعجب ما يكون أن يكون شر الخلق ينصح الناس عن اتباع خير

(١) تيسير الكريم الرحمن ص٥٠٦.
(٢) تيسير الكريم الرحمن ص١٨٢.

الخلق؛ هذا من التمويه والترويج الذي لا يدخل إلا عقلَ مَنْ قال الله فيهم: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴾ [الزخرف: ٥٤]»[١].

وقال ﷻ عن فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ [غافر: ٢٩]».

قال السعدي في تفسير هذه الآية: «وصدق[٢] في قوله: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴾.

ولكن ما الذي رأى؟ رأى أن يستخف قومه، فيتابعوه؛ ليقيم بهم رئاسته، ولم يرَ الحق معه، بل رأى الحق مع موسى، وجحد به مستيقناً»[٣].

إلى أن قال: «وكذب[٤] في قوله: ﴿وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾ فإن هذا قلبٌ للحق؛ فلو أمرهم باتباعه اتباعاً مجرداً ـ على كفره وضلاله ـ لكان الشر أهون.

---

(١) انظر المرجع السابق ص٧٠٢.

(٢) يعني فرعون.

(٣) تيسير الكريم الرحمن ص٣٠٧.

(٤) يعني فرعون.

ولكنه أمرهم باتباعه، وزعم أن في اتباعِه اتباعَ الحق، وفي اتباع الحق[1] اتباع الضلال»[2].

خامساً: التقليد الأعمى، وطاعة الأتباع للسادة والكبراء:

فكما يحصل الضلال، والطغيان بإضلال السادة، والكبراء للأتباع ـ فكذلك يحصل بطاعة الأتباع للسادة والكبراء، وتقليدهم لهم التقليدَ الأعمى دونما بيِّنة، أو أثارة من علم.

كما أخبر الله ﷻ عن الضُّلال من غابري الأمم أنهم قالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢].

وكما أخبر عن هؤلاء الأتباع أنهم يقولون يوم القيامة: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب: ٦٧].

وكذلك الحال بالنسبة لمن قلد الأصحاب، وسايرهم بالباطل، كما أخبر الله ﷻ عنهم بقوله: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ

(١) يعني الحق الذي مع موسى عليه السلام.

(٢) تيسير الكريم الرحمن ص٧٠٣.

يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي﴾ [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩][1].

فهذه هي أهم أسباب الإضلال، وما عداها يندرج تحتها.

وبهذا ينتهي هذا المبحث الذي دار حول انفراد الله بالهداية والإضلال، وأسبابهما.

* * *

---

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن ص ٦٤١.



المبحث الثالث

تعلق مسألة الهداية والإضلال بِسِرِّ القدرِ، والحكمة والتعليل

مدخل: مفهومُ القدر، وتعلقُ مسألةِ الهداية والإضلال به عموماً

أولاً: مفهوم القدر

القدر - في الأصل - يأتي بمعنى القضاء؛ فكل واحدٍ منهما يأتي بمعنى الآخر؛ فمعاني القضاء تؤول إلى إحكام الشيء، وإتقانه، ونحو ذلك من معاني القضاء[1].

ومعاني القدر تعود إلى التقدير، والحكم، والخلق، والحتم، ونحو ذلك[2].

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة ص ٤٤١ - ٤٤٢ والمفردات ص ٤٢٣، وياقوتة الصراط للبغدادي ص ٢٥٣، و٣٠٦، و٥٧٦، والمفردات في غريب القرآن ص ٤٢٣ - ٤٢٤، ومعجم مقاييس اللغة ٥/ ٩٩، والقاموس المحيط للفيروز بادي ص ١٧٠٨.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة ٥/ ٦٢، ولسان العرب ٥/ ٧٢، والفروق في اللغة ص ٣٢٨، ومعجم ألفاظ القرآن ص ٤٩٥ - ٤٩٦.

أما في اصطلاح الشـرع فإن القدر: هو تقدير الله للأشـياء، وعلمـه أنهـا سـتقع فـي أوقـات معلومـات، وعلـى صفـات مخصوصـة، وكتابتـه لذلـك، ومشـيئته، ووقوعها على حسـب ما قدَّرها، وخلقه لها.

أو هو: علم الله بالأشياء، وكتابته، ومشيئته، وخلقه لها(١).

والواجب علـى العبد في هذا البـاب أن يُؤمـن بقضاء الله، وقدره، وأن يُؤمن بشرع الله، وأمره، ونهيه، فعليه تصديق الخبر، وطاعة الأمر(٢).

فإذا أحسن حَمِدَ الله، وإذا أساء استغفر الله، وعلم أن ذلك كله بقضاء الله وقدره(٣).

---

(١) انظر: لوامع الأنوار البهية للسفاريني ١/ ٢٤٨، والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسـنة، د. عبد الرحمن المحمـود ص٢٩، وموقف ابن تيمية من الأشـاعرة، د. عبد الرحمن المحمـود ٣/ ١٣١، والإيمـان بالقضاء والقدر ص ٣٤.

(٢) انظـر: جامع الرسـائل لابـن تيميـة ٢/ ٣٤١، وانظـر: درء تعـارض العقل والنقل لابن تيمية ٨/ ٤٠٥.

(٣) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسـلام ابن تيمية ٨/ ١٧٠، والإيمان بالقضاء والقدر ص ٦١.

وبالجملة فعليه أن يؤمنَ بمراتب القدر الأربع: العلم، والكتابة، والمشيئة، والخلق، وأنه لا يقع شيء إلا وقد علمه الله، وكتبه، وشاءه، وخلقه، ويؤمنَ ـ أيضاً ـ بأن الله أمر بطاعته، ونهى عن معصيته، فيفعلَ الطاعة، ويتركَ المعصية، فإذا وفقه الله لفعل الطاعة وترك المعصية فليحمد الله، وليستمر على ذلك، وإن خُذِل ووُكل إلى نفسه فَفَعَل المعصية، وترك الطاعة فعليه أن يستغفر ويتوب.

ثم إن على العبد ـ أيضاً ـ أن يسعى في مصالحه الدنيوية، ويسلكَ الطرقَ الصحيحةَ الموصلةَ إليها، فَيَضْرِبَ في الأرض، ويمشي في مناكبها، فإن أتت الأمور على ما يريد حمد الله، وإن أتت على خلاف ما يريد تعزى بقدر الله، وَعلم أن ذلك كله واقع بقدر الله ﷻ وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه[1].

---

(١) التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية، للشيخ فالح آل مهدي ٢/ ١٤٠، وانظر: التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد بن عودة السعوي ص٢١٨ و٢٢٨ ـ ٢٢٩، وانظر: تقريب التدمرية، للشيخ محمد ابن عثيمين ص١١٩.

«وإذا علم العبد من حيث الجملة أن لله فيما خلق، وما أمر به حكمة عظيمة كفاه هذا، ثم كلما ازداد علماً وإيماناً ظهر له من حكمة الله ورحمته ما يبهر عقله، ويبين له تصديق ما أخبر الله به في كتابه»[١].

ولا يلزم كل أحد أن يعلم تفاصيل الحديث عن الإيمان بالقدر، بل يكفي هذا الإيمان المجمل، فأهل السنة والجماعة ـ كما هو مقرر عندهم ـ لا يوجبون على العاجز ما يجب على القادر؛ هذا هو مفهوم القدر بإجمال[٢].

ثانياً: تعلق مسألة الهداية والإضلال بالقدر عموماً

مسألةُ الهداية والإضلال مرتبطةٌ بعموم القدر شأنُها في ذلك شأنُ سائر ما يقضيه الله ـ تعالى ـ ويقدِّره.

وبناءً على ذلك فجميع ما دلَّ على القضاء والقدر دالٌّ على أن الهداية والإضلال من جملة ذلك؛ فإذا كان الكتاب، والسنة، والإجماع، والفطرة تدل على القضاء والقدر وأنه من

---

(١) مجموع الفتاوى ٨/ ٩٧.

(٢) انظر الإيمان بالقضاء والقدر ص ٦٢ ـ ٦٣.

الله ـ فإنها في الوقت نفســه تدل على كون الهداية والإضلال بيد الله[1].

ولهذه المسألة ـ أيضاً ـ تعلق بأقسام التقدير: التقدير العام، وهـو ما في اللـوح المحفـوظ قبل خلـق الســماوات والأرض بخمســين ألف ســنة، وهو تقدير الرب لجميع الكائنات بمعنى علمه بها، وكتابته، ومشيئته، وخلقه لها؛ فالهداية والإضلال من ضمن ذلك العموم.

والتقدير العمري، وهو: ما يكتب على العبد منذ نفخ الروح فيه في بطن أمـه إلى نهاية أجله من كتابة رزقه، وعمله، وأجله، وشقاوته، أو سعادته.

---

(١) انظـر: جامع البيـان عـن تأويل آي القـرآن لابـن جرير الطبـري١٢/ ١٥، والمســائل والرســائل المرويـة عـن الإمـام أحمد بـن حنبـل فـي العقيـدة١/ ١٤٧ ـ ١٥٠، والاختـلاف فـي اللفـظ والـرد على الجهمية والمشـبهة لابن قتيبـة ص ٢١ ـ ٢٣، وعقيدة السـلف وأصحاب الحديث للصابونـي ص ٢٨٠، وشـرح أصـول اعتقـاد أهـل السـنة والجماعـة للالكائي٣/ ٥٢٤، والدرة فيما يجب اعتقاده، لابن حزم ص٢٩٩ ـ ٣٠٠، ودرء تعارض العقـل والنقل لابن تيميـة ١/ ٨٥ ـ ٨٦، وفتح الباري لابن حجر، ١١/ ٢٨٧.

والتقدير السنوي، وذلك في ليلة القدر من كل سنة؛ إذ الهداية والإضلال من جملة ذلك التقدير.

والتقدير اليومي الذي يدل عليه قوله ـ تعالى ـ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]. أي: شأنه أن يعز ويذل، ويهدي ويضل، ونحو ذلك[(١)].

وهكذا يتبين وجه تعلق مسألة الهداية والإضلال بالقدر عموماً.

أما أخص ما تتعلق به هذه المسألة في باب القدر فسيتضح من خلال المطلبين التاليين:

المطلب الأول: تعلقها بسرِّ القدر الإلهي

والمقصود بسر القدر الإلهي: الجانب الخفي من القدر الذي هو سرُّ الله في خلقه، وشرعه، مما استأثر الله بعلمه، ولم يُطْلِعْ عليه ملَكٌ مقرَّب، ولا نبيٌّ مرسَل.

وارتباط مسألة الهداية والإضلال بهذا السر وثيقٌ جداً، بل هي ألصق مسائل القدرِ بِهِ؛ ذلك أن أكثر الشُّبَه والإشكالات في

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي١١/ ٢٨٧.

باب القدر إنما نشأت عن الجهل في فهم ما يجب حيال سرِّ القدر خصوصاً ما كان في مسألة الهداية والإضلال؛ ذلك أن من أسماء الله ﷻ: القدير، والقادر، والمقتدر.

ومن صفاته ـ تبارك وتعالى ـ: القدرة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي تفسير علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ قال: الذين يقولون إن الله على كل شيء قدير»[1].

ثم علق ابن القيم على هذا التفسير قائلاً: «وهذا من فقه ابن عباس، وعلمه بالتأويل، ومعرفته بحقائق الأسماء والصفات»[2].

ثم التفت إلى أهل الكلام، وأبان عن تقصيرهم في فهم هذا التفسير، مما كان له الأثر في ضلالهم في باب القدر، فقال: «فإن أكثر أهل الكلام لا يوفون هذه الجملة حقها ـ ولو كانوا يقرُّون بها ـ فمنكرو القدرِ[3] وخَلْقِ أفعال العباد لا يقرون بها

(١) شفاء العليل ص ٦٠.

(٢) شفاء العليل ص ٦٠.

(٣) يشير بذلك إلى القدرية المعتزلة. انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٧٨، وشرح الأصول الخمسة ص ٣٥٥ ـ ٣٦٢، والمغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار ٢/ ٣٤٠.

على وجهها، ومنكـرو أفعالِ الرب القائمة به لا يقرون بها على وجهها، بل يصرحون أنه لا يقدر على فعل يقوم به.

ومن لا يقر بأن الله ـ سـبحانه ـ كل يوم هو في شأن لا يقر بأن الله على كل شيء قدير.

ومـن لا يقر بـأن قلـوب العبـاد بيـن أصبعيـن مـن أصابع الرحمـن يقلبهـا كيف يشـاء، وأنـه ـ سـبحانه ـ مقلـب القلوب حقيقـة، وأنه إن شـاء أن يقيم القلـب أقامه، وإن شـاء أن يزيغه أزاغه ـ لا يقر بأن الله على كل شيء قدير»[١].

ولهذا لما سئل الإمام أحمد عن القدر قال: «القدرُ قدرةُ الله على العباد»[٢].

قال ابـن القيم معلقاً على مقولة الإمام أحمد: «واستحسـن ابن عقيل هذا الكلام جداً، وقال: هذا يدل على دقة علم أحمد، وتبحره في معرفة أصول الدين»[٣].

---

(١) شفاء العليل ص ٦٠.

(٢) مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية إسحاق بن إبراهيم بن هاني ٢/ ١٥٥، وانظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة ١/ ١٣٥.

(٣) شفاء العليل ص ٥٩ ـ ٦٠.

ثم علق ابن القيم على كلام ابن عقيل، فقال: «وهو كما قال أبو الوفاء[1]؛ فإنكار القدر إنكار قدرة الرب على خلق أفعال العباد، وكتابتها، وتقديرها»[2].

فالقدرة - إذاً - صفة الله - تعالى - والقدير، والقادر، والمقتدر: أسماؤه.

وجميع هذه الأسماء وردت في القرآن، وأكثرها وروداً «القدير» ثم «القادر» ثم «المقتدر» قال - تعالى -: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤].

وقال - تعالى -: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥].

وقال - تعالى -: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [الكهف: ٤٥].

وجميعها تدل على ثبوت القدرة صِفَةً لله، وأنه - سبحانه - كامل القدرة؛ فبقدرته أوجد الموجودات، وبقدرته دَبَّرها، وبقدرته سوَّاها وأحكمها، وبقدرته يحيي ويميت، ويبعث العباد

(١) يعني به ابن عقيل؛ فهو يكنى بأبي الوفاء.

(٢) شفاء العليل ص ٦٠.

للجزاء، ويجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، الذي إذا أراد شيئاً قال له: كن، فيكون.

وبقدرته يقلب القلوب ويصرّفها على ما يشاء ويريد، ويهدي من يشاء، ويضل من يشاء، ويجعل المؤمن مؤمناً، والكافر كافراً، والبرَّ بَرّاً، والفاجر فاجراً.

ولكمال قدرته لا يحيط أحدٌ بشيء من علمه إلا بما شاء أن يُعلِّمه إياه.

ولكمال قدرته خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسه من لغوب، لا يعجزه أحدٌ من خلقه ولا يفوته، بل هو في قبضته أين كان، الذي سَلِمَتْ قدرتُه من اللُّغوب والتعب والإعياء والعجز عما يريد.

ولكمال قدرته كان كلُّ شيء طَوْعَ أمره، وتحت تدبيره؛ فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن(١).

وهكذا يتبين أن مسألة القدر متعلقة بقدرة الله، وأن قدرة الله صفة من صفاته، وأن من أسمائه القدير، والقادر، والمقتدر.

---

(١) انظر: فقه الأسماء الحسنى، د. عبد الرزاق البدر ص٢١٧.

وبناءً على ذلك يُقَرِّر في صفة القدر ما يقرر في بقية صفات الله ـ جل ثناؤه ـ إذ من القواعد المقررة في باب الصفات أنها معلومة لنا باعتبار المعنى، مجهولة باعتبار الكيفية، كاستواء الله على عرشه؛ فإن معناه معلوم؛ إذ هو بمعنى العلو، والاستقرار، والارتفاع، والصعود.

أما كيفيته فمجهولة لنا؛ لأن الله أخبرنا أنه استوى، ولم يخبرنا عن كيفية استوائه(١).

ولهذا لما سئل الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ عن قوله ـ تعالى ـ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟ قال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»(٢).

---

(١) انظر: التدمرية، ص ٤٤ ـ ٤٥، والفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية ص ٢٩١، وانظر: تفصيل ذلك في درء تعارض العقل والنقل ٦/ ١٩١ ـ ٢٦٧ و٢/ ٢٠ ـ ٢١ و٦/ ١١٥ ـ ١١٩، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٥/ ٣١٠ ـ ٣١٤، والتسعينية ص ١٢٢ و١٢٧ ـ ١٣١.

(٢) ويروى عنه وعن ربيعة ـ رحمهما الله ـ بألفاظ أخرى، متقاربة، مثل قولهم: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة». انظر: درء تعارض العقل والنقل ١/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩، وتفصيل الكلام على هذا الأثر ورواياته في بحث: الأثر المشهور عن الإمام مالك في صفة الاستواء، دراسة تحليلية د. عبد الرزاق البدر.

فمعنى قوله: «غير مجهول» أو «معلوم»: أنه ظاهر بيِّن معلوم في لغة العرب ـ كما مر ـ.

وكونه أضيف إلى الله ـ تعالى ـ فإنه يعني استواءً خاصاً؛ يعني علوه ـ تعالى ـ، واستقراره عليه علواً، واستقراراً يليق بعظمته، وجلاله، وأنه من صفاته الفعلية التي دلَّ عليها الكتاب، والسنة، والإجماع[1].

ومعنى قوله: «والكيف غير معقول»، أو قوله: «والكيف مجهول»: نفي علم الكيفية، دون نفي حقيقة الصفة[2].

ومعنى قوله: «والإيمان به واجب»: أي لأنه من صفات الباري الثابتة له ـ سبحانه ـ فالإيمان بها واجب، والجحود بها كفر[3].

ومعنى قوله: «والسؤال عنه بدعة»: أي السؤال عن الكيف، أي عن كيفية صفات الباري؛ فهو بدعة مُحْدَثة؛ لأنه سؤال عما لا سبيل إلى علمه، ولا يجوز الكلام فيه، ولم يسبق ذلك في

---

(١) انظر: الفتوى الحموية الكبرى ص٢٠١ ـ ٢٩١، وفتح رب البرية بتلخيص الحموية لابن عثيمين ص٣٦ ـ ٣٧.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى ١٣/ ٣٠٩، ودرء تعارض العقل والنقل ٣/ ٣٥.

(٣) انظر: ذمُّ التأويل لابن قدامة ص٣١ ـ ٣٦.

زمن رسول الله ﷺ ولا من بعده من أصحابه؛ إذ هو خوضٌ في أمرٍ محالٍ على العقول أن تدركه[1].

فهذا الأثر العظيم عن الإمام مالك، وشيخه ربيعة ـ رحمهما الله ـ يصلح لأن يكون قاعدة تُجرى على جميع الصفات؛ لأن من القواعد المقررة في باب الصفات أن القول في بعض الصفات كالقول في بعضها الآخر[2].

ومنها ما الحديث بصدده، وهو مسألة الهداية والإضلال، وتعلقها بالقدر، وأن القدر قدرة الله ـ كما مر ـ.

تأسيساً على ما مضى يقال: قدرة الله كعلمه، وحكمته، وإراداته، واستوائه على عرشه، وسائر صفاته؛ من جهة كونها معلومةَ المعنى مجهولةَ الكيفية؛ فكما أننا نعجز عن الإحاطة بصفات الله فكذلك نعجز عن الإحاطة بقدرته، وأسرار قدره.

ومن أسرار قَدَرِه ﷻ أن أضل، وهدى، وأسعد، وأشقى، وأمات، وأحيا؛ لحكمة يعلمها ولا نعلمها، وهو العليم الحكيم.

---

(١) انظر: ذمُّ التأويل ص٢٦، والأثر المشهور عن الإمام مالك ص٣٧ ـ ٤١.
(٢) انظر: التدمرية ص٣١.

ولا يضير المرء في إيمانه عجزُه عن معنى الإحاطة بسر القدر؛ لأن ذلك ليس بمستطاع، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

ولكن الذي يضيره أن يبنيَ على عجزه أحكاماً، ويتصَّرفَ على غير هدى، وَيرُدَّ بعضَ الأصول القطعية، وَيضْرِبَ النصوص بعضها ببعض[١].

ومما لا نزاع فيه بين العقلاء أن للمالك أن يتصرف في ملكه كيف يشاء، ولا يلزم ليكون تصرفه سليماً أن يُدرك غيرُه الحكمة في تصرفاته، وليس لأحد حق الاعتراض عليه في تصرفه إذا لم يعلم السر في أفعاله.

ولا نزاع بينهم أن البارع في علم من العلوم، أو فن من الفنون، أو صنعة من الصنائع أنه قد يعمل أعمالاً لا تدركها عقول الذين لم يقفوا على أسرار ذلك العلم، أو الفن، أو الصنعة.

ولا يعني عدمُ إدراكهم لذلك ـ أن يقدحوا في ذلك العلم، أو الفن، أو الصنعة.

هذا بالنسبة للبشر القاصرين في علمهم وحكَمتهم، فكيف بأحكم الحاكمين، وبمن وسع كل شيء رحمة وعلماً؟!

---

(١) انظر: العقل والنقل عند ابن رشد، د. محمد أمان الجامي ص٥٦.

فإن حاولنا كَشْفَ ما طُوي عنا من أسرار القدر مما استأثر الله بعلمه كان ذلك تكلفاً بلا نتيجة، ومن حاول إدراك غير المستطاع فنتيجة محاولته أن يكون:

كناطحٍ صخرةً يوماً ليوهنها
فلم يضرها وأوهى قرنَه الوعلُ[١]

وما من ريب أن الإمساك عن الخوض في أسرار القدر هو المسلك الراشد الأَمَمُ الذي يوقف الإنسان عند حدِّه الذي وضعه له خالقه؛ فلا يتعداه إلى ما لا طاقة له به، ولا طائل له من ورائه؛ فلله ﷻ الحجة البالغة، وله الحكمة البالغة؛ لا يسأل عما يفعل، وهم يسألون، وما كان ﷻ ليطلع عباده على الغيب، ولكن ليبلوهم؛ فهو أعلم حيث يجعل هدايته، كما هو أعلم حيث يجعل رسالته[٢].

وهذا هو مَحْمَلُ الآثار الواردة في النهي عن الخوض في القدر؛ إذ عليها يحمل، ولها يتوجه.

(١) ديوان الأعشى الكبير ص٦١.

(٢) انظر: العقل والنقل عند ابن رشد، ص٥٦ ـ ٥٧، والإيمان بالقضاء والقدر ص١٨٩ ـ ١٩١.

وأهم ما ورد في هذا الشأن ما جاء في حديث في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا»[1].

وكذلك ما ورد أن النبي ﷺ غضب غضباً شديداً، عندما خرج على أصحابه يوماً وهم يتنازعون في القدر، حتى احمرَّ وجهه، حتى كأنما فُقِىء في وجنتيه حبُّ الرمان، فقال: «أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما أهلك من

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير١٠/٢٤٣ (١٠٤٤٨)، وأبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء ١٠٨/٤، وقال أبو نعيم: «غريب من حديث الأعمش تفرد به عنه مسهر».
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٠٢: «وفيه مسهر بن عبد الملك وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح».
وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار ١/ ٤١: «إسناده حسن».
وحسنه ابن حجر في الفتح ١١/ ٤٨٦، ورمز لحسنه السيوطي في الجامع الصغير فيض القدير ١/ ٣٤٨، وقال الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٤٥): «صحيح»، وانظر: السلسلة الصحيحة ١/ ٤٢ (٣٤).
وقال المباركفوري في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي٦/ ٣٣٦: «إسناده حسن».
وهذا الحديث جاء من حديث ثوبان رضي الله عنه بلفظه عند الطبراني في الكبير ٢/ ٩٦ (١٤٢٧)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/ ٢٠٢: «وفيه يزيد بن ربيعة وهو ضعيف».

كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر؛ عزمت عليكم ألا تنازعوا فيه»[١].

والنهي الوارد في هذين الحديثين ليس نهياً عن الكلام على القدر عموماً، وإنما هو مُنْصَبٌّ على أمور أهمها: ترك التسليم والإذعان لله في قدره، والبحث عن الجانب الخفي في القدر الذي هو سر الله في خلقه، والذي لم يطّلع عليه ملك مقرب، ولا نبي مرسل، وإيراد الأسئلة الاعتراضية، كمن يقول متعنتاً: لماذا هدى الله فلاناً وأضل فلاناً؟[٢].

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة من كتاب القدر باب ما جاء في التشديد في الخوض في القدر (٢١٣٣) وقال: «وفي الباب عن عمر وعائشة وأنس، وهذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث صالح المري، وصالح المري له غرائب ينفرد بها لا يتابع عليها».
وقال الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٧٣٢ ـ ٢٢٣١): «حسن».
وله شاهد من حديث عمر بن الخطاب ﵁ بلفظ: «لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم» أخرجه أحمد ١/ ٣٠، وأبو داود (٤٧١٠) و(٤٧٢٠)، والحاكم ١/ ٨٥.

(٢) انظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لابن بطة العكبري١/ ٤٢١ ـ ٤٢٢، وانظر: الدين الخالص تأليف السيد محمد صديق حسن٣/ ١٧١، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٢٦٢، وانظر: الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة ص٣٥، وشرح السنة للبربهاري ص٣٦، والإيمان بالقضاء والقدر ص٢٢ ـ ٢٤.

ومما يؤيد ذلك ـ من أن النهي ليس على إطلاقه ـ أنه ورد في الحديثِ السابقِ، حديثِ ابن مسعود، مع الأمر بالإمساك عن القدر ـ الإمساكُ عن الصحابة.

والإمساكُ عن الصحابة إنما المقصود به الإمساك عما شجر بينهم، والكف عن ذكر مساوئهم، وتنقصهم، وثلبهم.

أما ذكر محاسنهم، والثناء عليهم فهذا أمر محمود بلا أي خلاف؛ فقد أثنى الله عليهم في القرآن الكريم، وزكاهم، وكذلك الرسول ﷺ.

ومما يؤيد ذلك ـ أيضاً ـ أن سبب غضب النبي ﷺ كما في الحديث السابق ـ حديث الترمذي ـ إنما هو بسبب تنازع الصحابة في القدر، وهذا يعني أن الكلام في القدر، أو البحث فيه بالمنهج العلمي الصحيح غير محرم أو منهي عنه، وإنما الذي نهى عنه الرسول ﷺ هو التنازع في القدر، أو الخوض فيه بلا علم، أو البحث عن الجانب الخفي فيه[١].

---

(١) القضاء والقدر في الإسلام ١/٣٦٨، والإيمان بالقضاء والقدر ص ٢٤ ـ ٢٥.

وهكـذا يتبين من خلال هـذا المطلب تعلق مسـألة الهداية والإضلال بسر القدر الإلهي.

هذا وسيأتي مزيد بيان لهذه المسألة في المطلب التالي:

المطلب الثاني: تعلقها بمسألة الحكمة والتعليل

مسـألة تعليـل أفعـال الله، والحكمة فيهـا من أجلّ مسـائل التوحيد المتعلقة بالخلق والأمر، والشرع والقدر.

والحديث في هذا المقام لا يسمح بالتفصيل.

وقد اختلف الناس فيها على أقوال شتى، ولكنّها ترجع إلى قولين[1]:

أحدهمـا: قـول نفـاة الحكمـة، وهو قـول الأشـاعرة ومن وافقهم ممن يرى أن الله ﷻ قدر المقادير، وشرع الشرائع لغير علة، أو حكمة، بل فعل ذلك لمحض المشيئة، وصرف الإرادة.

الثاني: قول الجمهور الذين يثبتون الحكمة، وأنَّ لله في كل ما يقضيه حكمةً ورحمة.

---

(١) انظر الإيمان بالقضاء والقدر ص١٣٩.

وهذه الحكمة تتضمن شيئين:

أحدهما: حكمة تعود إليه ـ تعالى ـ يحبها ويرضاها.

والثاني: حكمة تعود إلى عباده، فهي نعمة عليهم يفرحون، ويلتذون بها.

وهذا يكون في المأمورات، والمخلوقات[1].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ مقرراً حكمة الله ـ تبارك وتعالى ـ فيما يقدره ويشرعه: «ولو ذهبنا نذكر ما يطلع عليه أمثالُنا من حكمة الله في خلقه لزاد ذلك على عشرة آلاف موضع مع قصور أذهاننا، ونقص عقولنا ومعارفنا، وتلاشيها، وتلاشي علوم الخلائق جميعهم كتلاشي ضوء السراج في عين الشمس، وهذا تقريب وإلا فالأمر فوق ذلك»[2].

---

(١) انظر: أصول الدين للبغدادي ص ١٥٠ ـ ١٥١، مجموع الفتاوى ٨/ ٣٥ ـ ٣٦، وبيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية ١/ ١٩٧ ـ ٢٠٣، وشرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٢٦١ ـ ٢٦٣، والقضاء والقدر د. عبد الرحمن المحمود ٢٤٢ ـ ٢٤٨، وموقف ابن تيمية من الأشاعرة د. عبد الرحمن المحمود ٣/ ١٣١٠ ـ ١٣١٢، والإيمان بالقضاء والقدر ص ١٣٩ ـ ١٤٠.

(٢) شفاء العليل ص ٤١٩.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكيف يتوهم ذو فطرة صحيحة خلاف ذلك، وهذا الوجود شاهد بحكمته، وعنايته بخلقه أتم عناية، وما في مخلوقاته من الحكمة، والمصالح، والمنافع، والغايات المطلوبة، والعواقب الحميدة ـ أعظم من أن يُحيطَ به وصفٌ، أو يحصرَه عقل؟!»[1].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وجماع ذلك أن كمال الرب ـ تعالى ـ وجلاله، وحكمته، وعدله، ورحمته، وإحسانه، وحمده، ومجده، وحقائق أسمائه الحسنى ـ تمنع كون أفعاله صادرة منه لا لحكمة، ولا لغاية مطلوبة.

وجميع أسمائه الحسنى تنفي ذلك، وتشهد ببطلانه»[2].

ولهذه المسألة ارتباط وثيق بمسألة الهداية والإضلال؛ إذ التسليم لله بتقديره الهدايةَ والإضلال من أجلِّ صفات المؤمنين، والاعتراض على ذلك، وكثرة الأسئلة والإشكالات فيه من صفات الضُّلال الخائضين في حكمة الرب فيما يقضيه، ويقدره.

---

(١) شفاء العليل ص٤١٨.

(٢) شفاء العليل ص٤١٨.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في القصيدة التائية في القدر:

وأصلُ ضلالِ الخلـقِ من كل فرقةٍ
هـو الخوض فـي فعـل الإلـه بعِلَّةِ
فإنهمـوا لـم يفهمـوا حكمـةً لـه
فصاروا علـى نوع مـن الجاهليةِ[١]

إلى أن قال:

وإبداعُـه مـا شـاء مـن مُبدَعاتـه
بهـا حِكْمَـةٌ فيـه وأنـواعُ رحمـةِ
ولسـنا وإن قلنـا جَـرَتْ بمشـيئة
مـن المنكـري آياتِـه المسـتقيمةِ
بـل الحـقُّ أن الحكـمَ لله وحـده
له الخلقُ والأمرُ الذي في الشريعةِ[٢]

وقال:

ومالكُنـا فـي كلِّ مـا قـد أراده
له الحمدُ حمـداً يعتلـي كلَّ مِدْحةِ

---

(١) القصيدة التائية في القدر لشيخ الإسلام ابن تيمية، دراسة وتحقيق وشرح د. محمد الحمد ص ٢١٠.

(٢) المرجع السابق ص ٢١٠.

فإن لـه في الخلـق من نِعَمٍ سـرت
ومن حكـم فوق العقـول الحكيمةِ
أمـوراً يحـار العقـل فيهـا إذا رأى
مـن الحكـم العليـا وكل عجيبـةِ
فـنـؤمـنُ أن الله عــزَّ بـقــدرةٍ
وخلـقٍ وإبـرامٍ لحكـم المشـيئةِ
فـنـثـبـت هـــذا كــلَّـه لإلـهـنـا
ونثبت ما فـي ذاك مـن كل حكمةِ
وهـذا مقـام طالمـا عجـز الأُلـى
نفـوه وكـروا راجعيـن بحيـرةِ[1]

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض حديث له عن مناقشة مثبتي الحكمـة ونفاتها، قال: «وأصـل ضلال الخلق هـو طلب تعليل أفعال الرب، كما قال شيخ الإسلام في تائيته:

وأصلُ ضلالِ الخلـقِ من كل فرقةٍ
هـو الخوض فـي فعـل الإلـه بِعِلَّةِ

---

(١) المرجع السابق ص ٢١١.

فإنهم لما طلبوا علة أفعاله فأعجزهم العلم بها افترقوا بعد ذلك»[١].

ثم ذكر أصناف هؤلاء الضالين الخائضين في هذه المسألة.

وقال بعد ذلك: «وقد اقتضت حكمة أحكم الحاكمين أن أقام في هذا العالم لكل حقٍّ جاحداً، ولكل صواب معانداً، كما أقام لكل نعمة حاسداً، ولكل شر رائداً.

وهذا من تمام حكمته الباهرة، وقدرته القاهرة؛ ليتمَّ عليهم كلمته، وينفذَ فيهم مشيئته، ويظهرَ فيهم حِكمتُه، ويقضي بينهم بحكمه، ويفاضل بينهم بعلمه، ويظهر فيهم آثار صفاته العليا، وأسمائه الحسنى، ويتبين لأوليائه وأعدائه يوم القيامة أنه لم يخل[٢] لحكمة، ولم يخلق خلقه عبثاً، ولا يتركهم سدى، وأنه لم يخلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً، وأن له الحمدَ التام الكامل على جميع ما خلقه وقدره وقضاه، وعلى ما أمر به، ونهى عنه، وعلى ثوابه وعقابه، وأنه لم يَضَعْ من ذلك شيئاً إلا في محله الذي لا يليق به سواه»[٣].

---

(١) شفاء العليل ص٢٦٨.

(٢) هكذا في الأصل، ولعلها: لم يخلق إلا.

(٣) شفاء العليل ص٤٤١ ـ ٤٤٢.

ثم شرع رَحِمَهُ اللَّهُ في الجواب عن الأسئلة التي ساقها نفاة الحكمة والتعليل، وأورد سبعة وثلاثين وجهاً من أوجه الرد عليهم[1].

هذا وإن مما يتعلق بمسألة الهداية والإضلال، ويؤكد ارتباطها بالحكمة الربانية ـ مسألةَ الحكمةِ من خلق المعاصي، وتقدير السيئات.

وهذا الباب لطيف دقيق، وقلَّ من تطرق له مع اشتماله على نفائس من العلم تُحَلُّ بها كثيرٌ من الإشكالات في باب الهداية والإضلال؛ إذ هو محتوٍ على حكم عظيمة، وأسرار بديعة باهرة.

قال ابن القيم عن هذا الباب: «وهذا باب عظيم من أبواب المعرفة قلَّ من استفتحه من الناس، وهو شهود الحكمة البالغة من قضاء السيئات وتقدير المعاصي.

وإنما استفتح الناس باب الحكم في الأوامر والنواهي، وخاضوا فيها، وأتوا بما وصلت إليه علومهم.

واستفتحوا ـ أيضاً ـ بابها في المخلوقات ـ كما قدمناه ـ وأتوا بما وصلت إليه قواهم.

---

(١) انظر: المرجع السابق ص ٤٤٢ ـ ٥٣٥.

وأما هـذا البـاب فكمـا رأيـت كلامهم فيـه، فقـلَّ أن ترى لأحدهم ما يشفي، أو يلم.

وكيـف يطَّلع علـى حكمة هذا البـاب من عنـده أن أعمال العباد ليست مخلوقة لله ولا داخلة تحت مشيئته أصلاً؟ وكيف يتطلب لها حكمة، أو يثبتها، أم كيف يطلع من يقول: هي خلق الله، ولكن أفعاله غير معللة بالحكم؟»[١].

إلى أن قال: «والمقصود أن مشـاهدة حكمة الله في أقضيته وأقداره التـي يجريهـا علـى عبـاده باختياراتهـم وإراداتهم هي ألطف ما تكلـم فيه الناس، وأدقُّـه، وأغمضه، وفـي ذلك حِكَمٌ لا يعلمهـا إلا الحكيـم العليـم ـ سـبحانه ـ ونحـن نشـير إلـى بعضها»[٢].

ثم شـرع رَحِمَهُ اللَّهُ في ذكر العديـد من الحكم في هذا الشـأن التي يعز نظيرها في غير هذا الموضع[٣].

---

(١) مفتاح دار السعادة ١/ ٢٨٦.

(٢) المرجع السابق ١/ ٢٨٦.

(٣) انظـر: تفصيـل ذلـك فـي مفتـاح دار السـعادة ١/ ٢٨٦ ـ ٢٩٩، والإيمان بالقضاء والقدر ص ١٦١ ـ ١٧٦.

وقال شيخ الإسـلام ابن تيمية مجيباً على من اعترض على مشيئة الله بكفر الكافرين، ووقوع المعصية من العاصين:

فقولك: «لِمْ قد شاء؟» مثل سؤالِ مَنْ
يقـول: فَلِـمْ قـد كان فـي الأزليـةِ
وذاك سـؤال يبطـل العقـلُ وَجْهَـهُ
وتحريمُه قد جاء في كل شـرعةِ[1]

ففي هذين البيتين يبين الشيخ خطأ هذا المعترض وضلاله بقوله: «لِم قد شاء».

فقـول المعتـرض: كيـف شـاء الله كفـر الكافريـن، ووقوع العصيان من العاصين، ونحو ذلك من الأسئلة المشابهة لذلك ـ كلها محظورة ممنوعة؛ لأن الله ﷻ هو الحاكم وليس المحكوم عليه، ولا يلزم أن يبدي لعباده كل حكمة اشتملت عليها مراداته وأفعالـه؛ ذلك أنـه ﷻ قد أخبـر عباده بالأمـر العـام، وهو أنه حكيم في خلقه وشرعه.

وهذا ـ بحـد ذاته ـ كافٍ شـافٍ لمن كان له قلـب أو ألقى السمع وهو شهيد.

---

(١) القصيدة التائية في القدر ص ٢١٢.

وأما دقائق الخلق، وأسرار التقدير على وجه التفصيل فعلمها عنده ﷻ ولا يلزم أن يُطْلع عباده إلا على ما شاء من ذلك، ولا يلزم ـ أيضاً ـ أن يطلع جميع عباده على ذلك.

وسؤال هذا المعترض الذي يقول: «لم شاء» مثل سؤال من يقول: لماذا قدَّر الله كذا وكذا في الأزل حين كتب مقادير الخلائق؟!

ومثل هذا السؤال يبطله العقل، وتحرمه جميع الشرائع السماوية؛ إذ هو اعتراض من العبد المملوك على الرب العظيم الذي لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والله ـ تعالى ـ غني عن العباد، إنما أمرهم بما ينفعهم، ونهاهم عما يضرهم، فهو محسن إلى عباده بالأمر لهم، محسن لهم بإعانتهم على الطاعة.

ولو قُدِّر أن عالماً صالحاً أمر الناس بما ينفعهم، ثم أعان بعض الناس على فعل ما أمرهم به، ولم يعن آخرين لكان

---

(١) انظر: الدرة البهية ص ٣٢ ـ ٣٣.

محسناً إلى هؤلاء إحساناً تامًّاً، ولم يكن ظالماً لمن لم يحسن إليه.

وإذا قدر أنه عاقب المذنب العقوبة التي يقتضيها عدله وحكمته لكان ـ أيضاً ـ محموداً على هذا وهذا.

وأين هذا من حكمة أحكم الحاكمين، وأرحم الراحمين؟! فأمره لهم إرشاد، وتعليم، وتعريف بالخير، فإن أعانهم على فعل المأمور كان قد أتم النعمة على المأمور، وهو مشكور على هذا وهذا.

وإن لم يعنه وخذله حتى فعل الذنب كان له في ذلك حكمة أخرى»[1].

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «وليس اطلاع كثير من الناس ـ بل أكثرهم ـ على حكم الله في كل شيء نافعاً لهم، بل قد يكون ضارًّاً، قال ـ تعالى ـ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ﴾ [المائدة: ١٠١].

---

(١) منهاج السنة ٣/٣٨، وانظر: الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص ٣٤ ـ ٣٦، ورسالة الثغر لأبي الحسن الأشعري ص ٨٥.

وهذه المسألة: مسألة غايات أفعال الله، ونهاية حكمته مسألةٌ عظيمة، لعلها أجل المسائل الإلهية»[١].

وقال ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعدل القول في القدر أن تعلم أن الله عدل، لا يجور: كيف خلق؟ وكيف قدَّر؟ وكيف أعطى؟ وكيف منع؟ وأنه لا يخرج من قدرته شيء، ولا يكون في ملكوته من السماوات والأرض إلا ما أراد، وأنه لا دين لأحد عليه، ولا حق لأحد قِبَلَه، فإن أعطى فبفضل، وإن منع فبعدل»[٢].

وهكذا يتبين وجه ارتباط مسألة الهداية والإضلال بالحكمة الربانية؛ إذ الهداية والإضلال متعلق بمشيئة الله عَزَّ وَجَلَّ ومشيئته متعلقة بحكمته، وعموم قدرته، وليس لمجرد المشيئة المحضة.

---

(١) منهاج السنة النبوية ٣/ ٣٩، وانظر: ١/ ٤٦ من الكتاب نفسه، ومجموع الفتاوى ٨/ ٨١، وانظر: إغاثة اللهفان لابن القيم الجوزية ٢/ ١٨٧ ـ ١٩٥، والإيمان بالقضاء والقدر ص ١٧٧ ـ ١٧٩، و١٩١ ـ ١٩٢.

(٢) الاختلاف في اللفظ ص ٣٥، وانظر: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية لابن بطة ١/ ٣٩٠.

فإذا كان الأمر كذلك وجب الوقوف عند ما أمرنا بأن نقف عنده؛ بحيث نسلم لله ﷻ فنؤمن بقدره، وشرعه، فنصدق الخبر، ونمتثل الأمر؛ فنكون بذلك من جمع بين الشرع والقدر، وسَلِمَ من كل معارضة لله في شرعه وقدره.

وذلك سبيل السعادة، والنجاة في الدنيا والآخرة[1].

* * *

(١) انظر مجموع الفتاوى ٨/ ٤٤٩ ـ ٤٥٠، وجامع الرسائل ٢/ ٣٤١، ودرء تعارض العقل والنقل ٨/ ٤٠٥، وطريق الهجرتين وباب السعادتين ص ١٧٠.



الخاتمة

الحمد لله، وبعد: ففي خاتمة هذا البحث هذه خلاصة لأهم ما تضمنه من نتائج، وأهم التوصيات:

أولاً: أهم النتائج

١ ـ أن مراتب الهداية الربانية للإنسان إلى أربع مراتب: الهداية العامة، والهداية بمعنى البيان، والدلالة، والإرشاد، وهداية التوفيق والإلهام، والهداية إلى الجنة، أو النار يوم القيامة.

٢ ـ أن هداية الدلالة والإرشاد ثابتة للرسل، وأتباعهم، ولا تستلزم التوفيق، وقبول الحق.

وهداية التوفيق والإلهام بيد الله وحده، وهي التي يختص بها من يشاء.

٣ ـ أن هداية الصراط المستقيم شاملة للهداية إليه، وهي الهداية المجملة، وللهداية فيه، وهي الهداية المفصلة.

٤ ـ يمكن تعريف الهداية شرعاً بأنها: تقديرُ اللهِ الاهتداءَ للعبد بدلالته إلى الصراط المستقيم، وتوفيقه، وإلهامه لقبوله، وسلوكه سبيله؛ حكمةً وتفضلاً.

٥ ـ الضلال في الشرع: مقابل الاهتداء، ويعني العدول عن الصراط المستقيم.

٦ ـ الضلال مراتب: أدناها ترك المستحبات، وأعلاها الكفر، وبينهما برازخ.

٧ ـ الضلال أقسام: فمنها ما يكون في العلوم النظرية، ومنها ما يكون في العلوم العملية.

٨ ـ الإضلال شرعاً هو: تقديرُ اللهِ الضلال على العبد بخذلانه، وترك توفيقه، وصرفه عن الاهتداء إلى أصل الصراط المستقيم، أو بعض تفاصيله؛ حكمةً، وعدلاً.

٩ ـ لكلٍّ من الهداية والإضلال أسباب مجملة، وأسباب مفصلة؛ فأسباب الهداية على الإجمال راجعة إلى الرغبة في الهدى، وطلبه، وتحريه، وأسباب الإضلال بعكس ذلك.

١٠ ـ لمسألة الهداية والإضلال تعلق بالقدر عموماً، ولها تعلق خاص بسرِّ القدر الإلهي، ومسألة الحكمة والتعليل.

ثانياً: أهم التوصيات

من خلال البحث في هذه المسألة تبين لي بعض المقترحات التي تصلح مادة علمية للبحث العقدي مما هو قريب من هذه المسألة، وهي كما يلي:

١ ـ مسألة الحكمة من خلق المعاصي وتقدير السيئات عند ابن القيم.

٢ ـ مسألة العناية الإلهية بين ابن القيم وابن تيمية.

٣ ـ موقف ابن القيم من مسألة خلق الشر في العالم.

والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، وأسأله ﷻ أن ينفع بهذا العمل، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع قريب، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

* * *



فهرس المراجع

١. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، لابن بطة العكبري، تحقيق ودراسة رضا بن نعسان معطي، ط٢، ١٤٠٩هـ.

٢. الأثر المشهور عن الإمام مالك في صفة الاستواء، دراسة تحليلية د. عبد الرزاق البدر، مجلة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، العدد ١١١، السنة ٣٣، ١٤٢١هـ.

٣. الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة للشيخ عبد الرحمن بن محمد الدوسري، مكتبة الرشد، ط٢، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٤. الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، لابن قتيبة، قدم له، وعلق عليه، وخرَّج أحاديثه عمر بن محمود أبو عمر، دار الراية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٥. الإيمان بالقضاء والقدر، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط٤، ١٤٣٥هـ ـ ٢٠١٤م.

٦. أصول الدين لعبد القاهر البغدادي، طبعة مصورة، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٨م.

٧. أصول أهل السنة والجماعة، المسماة برسالة الثغر، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق الدكتور محمد السيد الجليند، دار اللواء للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م.

٨. الاعتقاد على مذهب السلف، أهل السنة والجماعة، للبيهقي، السلام العالمية للطبع والنشر والتوزيع.

٩. أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، أو ٢٠٠ سؤال في العقيدة الإسلامية، تأليف الشيخ: حافظ الحكمي، خرَّج أحاديثه وعلَّق عليه مصطفى أبو النصر الشلبي، مكتبة السوادي جدة، ط٣، ١٤١٠هـ.

١٠. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم الجوزية، تحقيق الشيخ محمد حامد الفقي.

١١. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أو نقض تأسيس الجهمية لشيخ الإسلام ابن تيمية بتصحيح وتكميل وتعليق الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط٢، دار القاسم الرياض ١٤٢١هـ.

١٢. تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، شرحه ونشره السيد أحمد صقر، المكتبة العلمية، بيروت.

١٣. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، للمباركفوري، دار الفكر، الطبعة الثالثة ١٣٩٩هـ.

١٤. التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية، للشيخ فالح بن مهدي آل مهدي، ط٢، ١٤٠٦هـ.

١٥. التعريفات للشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

١٦. تفسير التحرير والتنوير، تأليف العلامة محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

١٧. تقريب التدمرية، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، ط١، ١٤١٢هـ.

١٨. التوكل على الله وعلاقته بالأسباب، د. عبد الله بن عمر الدميجي، دار الوطن، ط٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

١٩. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للشيخ عبد الرحمن السعدي، اعتنى به د. عبد الرحمن بن معلا اللويحق، دار التدمرية، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٠. تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، للشيخ عبد الرحمن السعدي، ط٢، مكتبة الأقصى عنيزة، ١٤٠٩هـ.

٢١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، دار الفكر، بيروت ١٤٠٥هـ.

٢٢. جامع الرسائل، لابن تيمية، د. محمد رشاد سالم، مطبعة المدني، ط١، ١٤٠٥هـ.

٢٣. جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٢٤. حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٥. خزانة الأدب لعبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام هارون، القاهرة، الخانجي، ١٤٢٠هـ..

٢٦. درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٢٧. الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم، ط٥، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٢٨. الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية نظم ابن تيمية، تأليف الشيخ عبد الرحمن السعدي، تصحيح عبد الغني عبد الخالق، مطبعة السيد الحلبي، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٧م.

٢٩. الدرة فيما يجب اعتقاده، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، دراسة وتحقيق وتعليق د. أحمد بن ناصر الحمد، وسعيد بن عبد الرحمن القزقي، توزيع مكتبة التراث، مكة المكرمة، مطبعة المدني، ط١، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

٣٠. الدين الخالص تأليف السيد محمد صديق حسن، مكتبة دار التراث، القاهرة.

٣١. ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري، ضبطه، وصححه، وضبط فهارسه، مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

٣٢. ديوان الأعشى الكبير، ميمون بن قيس، شرح وتحقيق د. محمد محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية.

٣٣. ديوان لبيد بن ربيعة بين جاهليته وإسلامه، زكريا صيام، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٨٥م.

٣٤. ذمُّ التأويل لابن قدامة، تحقيق بدر البدر، الدار السلفية، ط١.

٣٥. رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، لابن القيم، قدم له الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، تحقيق عبد الله بن محمد المديفر، مطابع الشرق الأوسط، ط١، ١٤٢٠هـ.

٣٦. الرسالة التدمرية، تحقيق الإثبات للأسماء والصفات، وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق د. محمد بن عودة السعوي، ط١، ١٤٠٥هـ.

٣٧. زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٣٨. سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٥هـ.

٣٩. السنة لابن أبي عاصم، تحقيق الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ.

٤٠. سنن ابن ماجة، دار الدعوة، دار سحنون، ترقيم محمد عبد الباقي، ط٢.

٤١. سنن الترمذي، دار الدعوة، دار سحنون، ط٢..

٤٢. شرح الأصول الخمسة، لعبد الجبار الهمذاني، تعليق أحمد ابن الحسين بن أبي هاشم، تحقيق د. عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٥م.

٤٣. شرح السنة للإمام أبي محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري، تحقيق: د. محمد بن سعيد القحطاني، دار ابن القيم، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤٤. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، تحقيق: د. أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة، الرياض.

٤٥. شرح العقيدة الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية، حققه سعيد بن نصر بن محمد، مكتبة الرشد الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

٤٦. شرح العقيدة الطحاوية، حققها وراجعها: جماعة من العلماء، خرج أحاديثها: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٨، ١٤٠٤هـ.

٤٧. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للشيخ عبد الله بن محمد الغنيمان، مكتبة لينة، ط١، ١٤٠٩هـ.

٤٨. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل لابن قيم الجوزية، تحرير الحساني عبد الله، مكتبة دار التراث، القاهرة.

٤٩. الشيخ عبد الرحمن بن سعدي وجهوده في توضيح العقيدة، د. عبد الرزاق البدر، مكتبة الرشد، ط١، ١٤١١هـ.

٥٠. صحيح البخاري، للإمام البخاري، عناية أبي صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٥١. صحيح الجامع الصغير وزيادته للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، أشرف عليه زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٥٢. صحيح مسلم، للإمام مسلم، عناية أبي صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٥٣. طريق الهجرتين وباب السعادتين، لابن قيم الجوزية، ضبط نصه وخرج أحاديثه عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم، ط١، ١٤٠٩هـ.

٥٤. العقل والنقل عند ابن رشد، د. محمد أمان الجامي، الجامعة الإسلامية، ط٣، ١٤٠٤هـ.

٥٥. عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للإمام أبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني، دراسة وتحقيق د. ناصر بن عبد الرحمن الجديع، ط١، دار العاصمة، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٥٦. العمدة لابن رشيق القيرواني تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٢م.

٥٧. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني، مكتبة ابن تيمية، ط١، ١٤٠٧هـ.

٥٨. فتح رب البرية بتلخيص الحموية للشيخ محمد بن صالح العثيمين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٤, ١٤١٠هـ.

٥٩. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، للإمام محمد بن علي الشوكاني، عالم الكتب، وطبعة دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ط١، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٦٠. الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية، دراسة وتحقيق د. حمد التويجري، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٦١. الفروق في اللغة لأبي هلال العسكري، حققه، وعلق عليه، ووضع فهارسه جمال عبد الغني مدغمش، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م.

٦٢. فقه الأسماء الحسنى، د. عبد الرزاق البدر، ط١، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٦٣. فيض القدير شرح الجامع الصغير، للمناوي، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان، ط٢، ١٣٩١هـ.

٦٤. القاموس المحيط، للفيروزأبادي، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٦٥. القدر لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي، تحقيق عمرو عبد المنعم سليم، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٦٦. القصيدة التائية في القدر لشيخ الإسلام ابن تيمية، دراسة وتحقيق وشرح محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة، الرياض، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.

٦٧. القضاء والقدر، أبو الوفاء محمد درويش، المكتبة الإسلامية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٦٨. القضاء والقدر، د. عمر الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٠هـ..

٦٩. القضاء والقدر في الإسلام، د. فاروق أحمد الدسوقي، المكتب الإسلامي، بيروت، مكتبة الخانجي، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٧٠. القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، ومذاهب الناس فيه، للشيخ د. عبد الرحمن بن صالح المحمود، دار الوطن، ط٢، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٧١. الكليات لأبي البقاء الكفوي، قابله على نسخة خطية، وأعده للطبع، ووضع فهارسه د. عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٧٢. لسان العرب، لابن منظور الأفريقي، دار الفكر.

٧٣. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للهيثمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٧٤. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد.

٧٥. مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية إسحاق بن إبراهيم بن هاني، تحقيق زهير الشاويش (ت ١٤٣٤هـ)، المكتب الإسلامي.

٧٦. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، جمع وتحقيق ودراسة عبد الإله الأحمدي، دار طيبة، ط١، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.

٧٧. معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، دار الشروق.

٧٨. المعجم الكبير للطبراني، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٧٩. معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق وضبط عبد السلام هارون، دار الجيل، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٨٠. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في

الإحياء من الأخبار، للعراقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م.

٨١. المغني في أبواب التوحيد والعدل، عبد الجبار الهمذاني، تحقيق مجموعة من المحققين، ط القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.

٨٢. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، ضبط هيثم طعيمي، دار إحياء التراث العربي، بروت، لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٨٣. الموطأ للإمام مالك بن أنس، محمد عبد الباقي، دار الحديث.

٨٤. موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبد الرحمن المحمود، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٨٥. نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنواظر في القرآن الكريم لابن الجوزي، عني بتصحيحه والتعليق عليه مهر النساء آيم آي، دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد، الدكن، الهند، ط١، ١٣٩٤هـ.

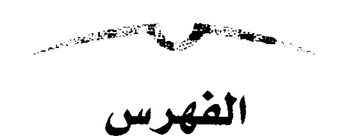
٨٦. النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير، تحقيق: طاهر الزواوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

٨٧. الوجـوه والنظائـر في القـرآن الكريـم للدامغانـي، حققه، ورتبه، وأكمله، وأصلحه عبد العزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت.

٨٨. الوجوه والنظائر في القرآن الكريم د. سـليمان القرعاوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

٨٩. ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن لأبي عمر محمد بن عبد الواحد البغدادي المعروف بغلام ثعلب، حققه، وقدم له د. محمد بن يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م

* * *



الفهرس

المبحث الثاني:

انفرادُ اللهِ بهما، وأسبابُهما

المبحث الثالث:

تعلق مسألة الهداية والإضلال

بِسِرِّ القدرِ، والحكمة والتعليل

* * *